۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ
أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ
ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟
وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ
وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾
وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ
قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ
قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾
قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ
ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا
وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى(فَمَنْ أَظْلَمُ)،

محذرا و مخبرا: أنه لا أظلم و أشد ظلما

(مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ)

إمـــــــا :-

1-بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله

2-أو بادعاء النبوة،

3-أو الإخبار بأن اللّه تعالى قال كذا، أو أخبر بكذا،

4-أو حكم بكذا و هو كاذب،

فهذا داخل في قوله تعالى:

(وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)

إن كان جاهلا و إلا فهو أشنع و أشنع.

(وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ)

أي: ما أظلم ممن جاءه الحق المؤيد بالبينات فكذبه،

فتكذيبه ظلم عظيم منه، لأنه رد الحق بعد ما تبين له،

فإن كان جامعا بين الكذب على اللّه و التكذيب بالحق، كان ظلما على ظلم.

(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ)

يحصل بها الاشتفاء منهم، و أخذ حق اللّه من كل ظالم و كافر.

(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)

و لما ذكر الكاذب المكذب و جنايته و عقوبته

ذكر الصادق المصدق و ثوابه،

فقال:-(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ)

***هو رسول اللهﷺ

***الانبياء

❍في قوله و عمله، فدخل في ذلك الأنبياء و من قام مقامهم،

ممن صدق فيما قاله عن خبر اللّه و أحكامه،

و فيما فعله من خصال الصدق.

(وَصَدَّقَ بِهِ)

***محمد ﷺ

الاتباعالمسلمون

❍أي: بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق،

و لكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله و أتى به

فلا بد في المدح من الصدق و التصديق،

فصدقه يدل على علمه و عدله، و تصديقه يدل على تواضعه و عدم استكباره.

***{وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} قَالَ: -

أَصْحَابُ الْقُرْآنِ الْمُؤْمِنُونَ يَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

فَيَقُولُونَ: هَذَا مَا أَعْطَيْتُمُونَا، فَعَمِلْنَا فِيهِ بِمَا أَمَرْتُمُونَا.

***وَ هَذَا الْقَوْلُ عَنْ مُجَاهِدٍ يَشْمَلُ كُلَّ الْمُؤْمِنِينَ

فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ،

(أُوْلَٰٓئِكَ)

أي: الذين وفقوا للجمع بين الأمرين

(هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ)

فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق و التصديق به.

(لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ)

من الثواب، مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر.

فكل ما تعلقت به إرادتهم و مشيئتهم، من أصناف اللذات و المشتهيات،

فإنه حاصل لهم، معد مهيأ،

(ذَٰلِكَ جَزَآءُ)

الذين يعبدون اللّه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم

(ٱلْمُحْسِنِينَ)

إلى عباد اللّه.

(لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

***كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:-{أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [الأحقاف:16] .

عمـــــــل الإنســـــــان له ثـــــــلاث حـــــــالات:-

1-إما أســــــوأ،

2-أو أحســــــــن،

3-أو لا أســــوأ، و لا أحســــــــن.

و القسم الأخير قسم المباحات و ما لا يتعلق به ثواب و لا عقاب،

و الأسوأ، المعاصي كلها،

و الأحسن الطاعات كلها،

فبهذا التفصيل، يتبين معنى الآية،

و أن قوله: (لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ)

أي: ذنوبهم الصغار، بسبب إحسانهم و تقواهم،

(وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

أي: بحسناتهم كلها

(إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا)

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

(أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ)

*الميسر:محمداﷺوعيد المشركين و كيدهم من أن ينالوه بسوء؟

أي: أليس من كرمه و جوده، و عنايته بعبده، الذي قام بعبوديته،
و امتثل أمره و اجتنب نهيه، خصوصا أكمل الخلق عبودية لربه،
و هو محمد ﷺ فإن اللّه تعالى سيكفيه في أمر دينه و دنياه،
و يدفع عنه من ناوأه بسوء.

(وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ)

من الأصنام و الأنداد أن تنالك بسوء، و هذا من غيهم و ضلالهم.

(وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ)

***مَنِيعِ الْجَنَابِ لَا يُضَامُ، مَنِ اسْتَنَدَ إِلَى جَنَابِهِ وَ لَجَأَ إِلَى بَابِهِ،
فَإِنَّهُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا أَعَزَّ مِنْهُ، وَ لَا أَشَدَّ انْتِقَامًا مِنْهُ،
مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَ أَشْرَكَ وَ عَانَدَ رَسُولَهُ ﷺ.

(وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ)

لأنه تعالى الذي بيده الهداية و الإضلال،

و هو الذي ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن.

(أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ)

له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء،

و بعزته يكفي عبده و يدفع عنه مكرهم

(ذِى ٱنتِقَامٍ)

ممن عصاه، فاحذروا موجبات نقمته.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ

قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ

هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ

قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

اقامة الحجة على المشركين 38-41

أي:(وَلَئِن سَأَلْتَهُم)

و لئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك بالذين من دونه،

و أقمت عليهم دليلا من أنفسهم،

فقلت:-(مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)

لم يثبتوا لآلهتهم من خلقها شيئا.

(لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ)

الذي خلقها وحده.

(قُلْ)

لهم مقررا عجز آلهتهم، بعد ما تبينت قدرة اللّه:-

(أَفَرَءَيْتُم)

أي: أخبروني

(مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ)

أيَّ ضر كان.

(هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ)

بإزالته بالكلية، أو بتخفيفه من حال إلى حال؟

(أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ)

يوصل إليَّ بها منفعة في ديني أو دنياي.

(هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ)

***سنن الترمذي ت شاكر

2516 -عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺقَالَ:-

كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺيَوْمًا، فَقَالَ:-

«يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ،

وَ إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ،
وَ اعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ،
وَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَ جَفَّتْ الصُّحُفُ»

❍و مانعاتها عني؟.

سيقولون: لا يكشفون الضر و لا يمسكون الرحمة.

قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود،

و أنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده،

و أن غيره عاجز من كل وجه.عن الخلق و النفع و الضر، مستجلبا كفايته،

مستدفعا مكرهم و كيدهم:-

(قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ)

***يكفيني

(عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ)

أي: عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم و دفع مضارهم،

فالذي بيده – وحده – الكفاية هو حسبي،

سيكفيني كل ما أهمني و ما لا أهتم به.

قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

أي: (قُلْ) لهم يا أيها الرسول:-

(يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ)

أي: على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، من عبادة من لا يستحق من العبادة شيئا و لا له من الأمر شيء. (ليس معناها: قدركم)

(إِنِّي عَٰمِلٌ)

على ما دعوتكم إليه، من إخلاص الدين للّه تعالى وحده

(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)

لمن العاقبة

و (مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ)

في الدنيا

(وَيَحِلُّ عَلَيْهِ)

في الأخرى

(عَذَابٌ مُّقِيمٌ)

لا يحول عنه و لا يزول،

و هذا تهديد عظيم لهم،

و هم يعلمون أنهم المستحقون للعذاب المقيم

و لكن الظلم و العناد حال بينهم و بين الإيمان.

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾
ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ
فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ
قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ
جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾
وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ
وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾
قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ
عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ
وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾
إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

(إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ)

يخبر تعالى أنه أنزل على رسوله الكتاب المشتمل على الحق، فـــــي:-

أخبـــــــاره و أوامـــــــره و نواهيـــــــه، الذي هو مادة الهـــــــداية،

و بلاغ لمن أراد الوصول إلى اللّه و إلى دار كرامته،

و أنه قامت به الحجة على العالمين.

(فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ)

بنوره و اتبع أوامره فإن نفع ذلك يعود إلى نفسه

(وَمَن ضَلَّ)

بعدما تبين له الهدى

(فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ)

لا يضر اللّه شيئا.

(وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ)

تحفظ عليهم أعمالهم و تحاسبهم عليها، و تجبرهم على ما تشاء،

و إنما أنت مبلغ تؤدي إليهم ما أمرت به.

***بِمُوَكَّلٍ أَنْ يَهْتَدُوا {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [هُودٍ:12]

{فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرَّعْدِ:40] .

ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

يخبر تعالى أنه المتفرد بالتصرف بالعباد، في حال يقظتهم و نومهم،

و في حال حياتهم و موتهم،

فقال:-(ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا)

تفرد الله بالتصرف فى العباد42-48

و هذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.

و إخباره أنه يتوفى الأنفس

و إضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت و أعوانه

كما قال تعالى:-(قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ)

لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخالق المدبر

و يضيفها إلى أسبابها،باعتبار أن :-

من سننه تعالى و حكمته أن:-

جعل لكل أمر من الأمور سببا

و قوله:-(وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ)

و هذه الموتة الصغرى أي: و يمسك النفس التي لم تمت في منامها،

(فَيُمۡسِكُ)

من هاتين النفسين النفس

(ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ)

و هي نفس من كان مات، أو قضي أن يموت في منامه.

(وَيُرۡسِلُ)

النفس

(ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ)

أي: إلى استكمال رزقها و أجلها.

***صحيح البخاري

6320 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

" إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ

فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ،

ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ،

إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا،

وَ إِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ)

على كمال اقتداره، و إحيائه الموتى بعد موتهم.

و فـــــى هـــــذه الآيـــــة:–

1–دليل على أن الروح و النفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن،

2–و أنها مخلوقة مدبرة، يتصرف اللّه فيها في الوفاة و الإمساك و الإرسال،

3–و أن أرواح الأحياء و الأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتتحادث، فيرسل اللّه أرواح الأحياء، و يمسك أرواح الأموات.

أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

(أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ)

ينكر تعالى، على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم و يسألهم و يعبدهم.

(قُلْ)

لهم – مبينا جهلهم، و أنها لا تستحق شيئا من العبادة– :

(أَوَلَوْ كَانُوا۟)

أي: من اتخذتم من الشفعاء

(لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا)

أي: لا مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض، و لا أصغر من ذلك و لا أكبر،

(وَلَا يَعۡقِلُونَ)

بل و ليس لهم عقل، يستحقون أن يمدحوا به،

لأنها جمادات من أحجار و أشجار و صور و أموات

فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلا؟

أم هو من أضل الناس و أجهلهم و أعظمهم ظلما؟.

(قُل)لهـــــــم : –

(لِلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ)

لأن الأمر كله للّه.و كل شفيع فهو يخافه،

و لا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه

فإذا أراد رحمة عبده، أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنين.

ثم قرر أن الشفاعة كلها له بقوله (لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)

أي: جميع ما فيهما من الذوات و الأفعال و الصفات

فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها، و تخلص له العبادة.

(ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)

فيجازي المخلص له بالثواب الجزيل، و من أشرك به بالعذاب الوبيل.

وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

يذكر تعالى حالة المشركين، و ما الذي اقتضاه شركهم أنهم

(وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ)

توحيدا له، و أمر بإخلاص الدين له، و ترك ما يعبد من دونه،

(ٱشۡمَأَزَّتۡ)

***انقبضت

❍ أنهم يشمئزون و ينفرون، و يكرهون ذلك أشد الكراهة.

(قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} [الصَّافَّاتِ:35]

عَنِ الْمُتَابَعَةِ وَ الِانْقِيَادِ لَهَا.فَقُلُوبُهُمْ لَا تَقْبَلُ الْخَيْرَ، وَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْخَيْرَ يَقْبَلِ الشَّرَّ

(وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ)

من الأصنام و الأنداد، و دعا الداعي إلى عبادتها و مدحها

(إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ)

بذلك، فرحا بذكر معبوداتهم، و لكون الشرك موافقا لأهوائهم

و هذه الحال أشر الحالات و أشنعها،

و لكن موعدهم يوم الجزاء.

فهناك يؤخذ الحق منهم، و ينظـــــــــر:-

هل تنفعهم آلهتهم التي كانوا يدعون من دون اللّه شيئا؟.

و لهـــــــذا قال (قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)

أي: خالقهما و مدبرهما.

(عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ)

الذي غاب عن أبصارنا و علمنا

(وَٱلشَّهَٰدَةِ)

الذي نشاهده.

(أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)

***فِي دُنْيَاهُمْ سَتَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ وَ نُشُورِهِمْ، وَ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ.

***صحيح مسلم:-

(770) عن عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، رضى الله عنها قَالَتْ:-

كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ:

«اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَ مِيكَائِيلَ، وَ إِسْرَافِيلَ

فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ

أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ،

اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ،

إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»

***سنن الترمذي :-

3529 عَنْ أَبِي رَاشِدٍ الحُبْرَانِيِّ، قَالَ:

أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه فَقُلْتُ لَهُ:-

حَدِّثْنَا مِمَّا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَى إِلَيَّ صَحِيفَةً،

فَقَالَ:هَذَا مَا كَتَبَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

قَالَ:فَنَظَرْتُ فِيهَا فَإِذَا فِيهَا: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ

قَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ،

فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَ مَلِيكَهُ

أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ،

وَ أَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ

❍و إن من أعظم الاختلاف اختلاف الموحدين المخلصين القائلين:–

إن ما هم عليه هو الحق،

و إن لهم الحسنى في الآخرة دون غيرهم،

و المشركين الذين اتخذوا من دونك الأنداد و الأوثان،

و سووا فيك من لا يسوى شيئا، و تنقصوك غاية التنقص،

و استبشروا عند ذكر آلهتهم، و اشمأزوا عند ذكرك،

و زعموا مع هذا أنهم على الحق و غيرهم على الباطل، و أن لهم الحسنى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ

أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

و قد أخبرنا بالفصل بينهم بعدها بقوله:-

(هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ)

إلى أن قال:-(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ)

و قال تعالى:-(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ)

ففـــــــى هـــــــذه الآيـــــــة:-

1-بيان عموم خلقه تعالى و عموم علمه،و عموم حكمه بين عباده

فقدرته التي نشأت عنها المخلوقات،

و علمه المحيط بكل شيء، دال على حكمه بين عباده و بعثهم،

و علمه بأعمالهم، خيرها و شرها، و بمقادير جزائها،

و خلقه دال على علمه (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ)

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

(وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ)

لمَّا ذكر تعالى أنه الحاكم بين عباده

و ذكر مقالة المشركين و شناعتها، كأن النفوس تشوقت إلى ما يفعل اللّه بهم يوم القيامة،

فأخبر أن لهم (سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ)

أي: أشده و أفظعه، كما قالوا أشد الكفر و أشنعه،

و أنهم على–الفرض و التقدير– لو كان لهم ما في الأرض جميعا،مـن:– ذهبها و فضتها و لؤلؤها و حيواناتها و أشجارها و زروعها و جميع أوانيها و أثاثها و مثله معه،ثم بذلوه يوم القيامة

(لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ)

ليفتدوا به

(مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ)

و ينجوا منه، ما قبل منهم،

و لا أغنى عنهم من عذاب اللّه شيئا،

(يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ)

أي: يظنون من السخط العظيم، و المقت الكبير،

و قد كانوا يحكمون لأنفسهم بغير ذلك.

***وَ ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ بِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي بَالِهِمْ

وَ لَا فِي حِسَابِهِمْ

◄ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ الزمر: ٤٧.

عن قزعة قال: رأيت على ابن عمر ثيابا خشنة، فقلت له: إني قد أتيتُكَ بثوبٍ لَيِّنٍ مما يُصنع بخُراسان، وتقرُّ عينايَ أن أراه عليك، قال: أرِنِيْهِ؛ فلمسه وقال: أحرير هذا؟ قلتُ: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أكون مختالا فخورا، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد: ٢٣.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا: كل لِبَاسٍ أَوجَدَ في المرءِ خُيَلاء وفخرًا فتركُه مُتَعَيِّنٌ، ولو كان من غير ذهبٍ ولا حرير، فإنا نرى الشاب يلبس الفرجيةَ[٣] الصوفُ بفروٍ

الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام يتزيا به علماء الدين، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٢٧٠).

مِنْ أثمانِ أربعِمائةِ درهمٍ ونحوها، والكبرُ والخيلاءُ على مِشْيَتِهِ ظَاهِرٌ، فإنْ نصحته ولُمْتَهُ بِرِفْقٍ كَابَرَ، وقالَ: ما فِيَّ خيلاءٌ ولا فخرٌ، وهذا السَّيِّدُ ابنُ عُمَرَ يَخَافُ ذلكَ علىَ نفسه[1]!

وجاء في ترجمة محمد بن المنكدر أنه كان ذاتَ ليلةٍ قائمًا يُصلي إذِ استبكَى، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله وسألوه، فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازمٍ فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مَرَّتْ بي آيةٌ، قال: وما هي؟ قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[2]؛ فبكى أبو حازم معه، فاشتد بكاؤهما.

وجاء عنه أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزعُ؟ قال: أخشى آيةً من كتاب الله ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾، فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب[3]!

قيل لسليمان بن طَرْخَانَ التَّيْمِيِّ البصريِّ: أنتَ أنتَ! ومَنْ مِثْلُكَ؟! قالَ: لا تقولوا هكذا، لا أدري ما يبدو لي من ربي عز وجل، سمعتُ اللهَ يقولُ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[4].

روى الخطيب البغدادي بسنده قال: سمعت بكرا العابد يقول: سمعت فضيل ابن عياض يقول في قول الله عز وجل: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾؛

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣٣ - ٢٣٤).

(٢) الزمر: ٤٧.

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٠).

قال: أَتَوْا بأعمالٍ ظنُّوها حسناتٍ فإذا هيَ سيئاتٌ، قالَ: فرأيتُ يحيى بنَ مَعِيْنٍ بَكَى

تاريخ بغداد (١٣/ ٢٦٢).

◄ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾

قبل اثني عشر عامًا كنتُ أُدَرِّسُ المرحلة الثانوية، فأحضرتُ للطلاب شريطا بتلاوة قارئ، وكان من عادتي يومئذ أن أستمع معهم لقارئ متقن في آخر خمس دقائق من حصة القرآن لتعريفهم بالقراء المتقنين، وكان نصيب ذلك الدرس تلاوة لشيخ المقارئ الليبية الشيخ (الدوكالي عالم) صاحب الصوت الشجي، والنبرة المؤثرة.

وبعد انتهاء الدرس، جاءني طالب لم أعهد منه حرصًا ولا صلاحًا، بل كان من أرباب المشكلات السلوكية في المدرسة، أتاني في غرفة المعلمين بعد الدرس، وبعد أن أبدى إعجابه بالقارئ قال لي: الآيات بصوته حلوة، وتدخل القلب، وأحسست بها جدًا!

دفعني الفضول لمعرفة المزيد، وسألته عن أكثر شيء أثَّر فيه، فقال لي: سمعتُ منه آية خوفتني من الله، فقلتُ: ماهي؟ فطلب مني المصحف لأنه لا يحفظها، فأعطيته المصحف مفتوحًا على نفس المقطع، فأشار إلى الآية وإذا هي قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾[1]، ورأيته قد تأثَّر، وهو يقول لي: ادعُ لي يا أستاذ أن يستر الله عليَّ!، و والله إنّ حديثه منذ اثني عشر عامًا لا يزال في أذني كأنما قد سمعتُه لتوِّي، ولا زلتُ أتأثر بالآية كلما سمعتها أو قرأتها.

الزمر: ٤٧.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾
فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ
بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ
﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ
لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾
وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ
﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

(وَبَدَا)

*ظهر

(لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟)

أي: الأمور التي تسوؤهم، بسبب صنيعهم و كسبهم

(وَحَاقَ)

***أحاط

(بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ)

من الوعيد و العذاب الذي نزل بهم، و ما حل عليهم العقاب.

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

حال و طبيعة الانسان 49-52

(فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ)

يخبر تعالى عن حالة الإنسان و طبيعته، أنه حين يمسه ضر، مـــــن:-

مـــــرض أو شـــــدة أو كـــــرب.

(دَعَانَا)

ملحا في تفريج ما نزل به

(ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ)

*الميسر:-و أعطيناه

(نِعْمَةً مِّنَّا)

❍فكشفنا ضره و أزلنا مشقته، عاد بربه كافرا، و لمعروفه منكرا.

و (قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ)

❍أي: علم من اللّه، أني له أهل، و أني مستحق له،لأنى كريم عليه

❍أو على علم مني بطرق تحصيله.

قال تعالى: (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ)

يبتلي اللّه به عباده لينظـــــــر من يشكره ممن يكفـــــــره.

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ)

*الميسر:لجهلهم و سوء ظنهم-

(لَا يَعْلَمُونَ)

*<u>أن ذلـــــك:-</u>

1-استدراج لهم من الله،

2-و امتحان لهم على شكر النعم.

❍فلذلك يعدون الفتنة منحة،

و يشتبه عليهم الخير المحض، بما قد يكون سببا للخير أو للشر

قال تعالى:-(قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ)

أي: قولهم(إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ)

فما زالت متوارثة عند المكذبين، لا يقرون بنعمة ربهم، و لا يرون له حقا، فلم يزل دأبهم حتى أهلكوا، و لم يغن

(فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم)

حين جاءهم العذاب.

(مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)

***الميسر**:من الأموال و الاولاد**

(فَأَصَابَهُمۡ)

***كما أصاب أولئك

(سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ)

○و السيئات في هذا الموضع:- العقوبات، لأنها تسوء الإنسان و تحزنه.

(وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ)

فليسوا خيرا من أولئك، و لم يكتب لهم براءة في الزبر.

(وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ)

***الميسر:و ما هم بفائتين الله و لا سابقيه.**

(أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ)

و لما ذكر أنهم اغتروا بالمال، و زعموا – بجهلهم – أنه يدل على حسن حال صاحبه، أخبرهم تعالى:–

أن رزقه، لا يدل على ذلك،

و أنه (يَبۡسُطُ)

***يُوَسِعُ

(ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ)

من عباده، سواء كان صالحا أو طالحا

(وَيَقۡدِرُۚ)

الرزق، أي: يضيقه على من يشاء، صالحا أو طالحا،

فرزقه مشترك بين البرية، و الإيمان و العمل الصالح يخص به خير البرية

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ)

***لعبرا و حججا

(لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)

أي:بسط الرزق و قبضه، لعلمهم أن مرجع ذلك، عائد إلى الحكمة و الرحمة،

و أنه أعلم بحال عبيده،

فقـــــد يضيـــــــق عليهم الــــــــرزق:–

1-لطفـــــــا بهم،لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض،

2-فيكون تعالى مراعيا في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم و فلاحهم، و اللّه أعلم.

۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

*جاء فى الصحيح المسند من أسباب النزول:-

الحاكم عن عمرﷺ قال:-

كنا نقول ما لمفتتن توبة و ما الله بقابل منه شيئا

فلما قدم رسول الله ﷺالمدينة أنزل فيهم :-

{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}

و الآيات بعدها قال عمر فكتبتها بيدي() في صحيفة

من هنا من السيرة بهذا السند لأن السياق في المستدرك غير مفهوم وقع فيه سقط و هو في مجمع الزوائد كما في السيرة.

و بعثت بها إلى هشام بن العاص
قال هشام بن العاص فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه و أصوب و لا أفهمها حتى قلت اللهم فهمنيها
قال: فألقى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا
و فيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا
قال فرجعت إلى بعيري فجلست عليه
فلحقت برسول الله ﷺوهو بالمدينة
***صحيح البخاري
4810 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:-
أَنَّ نَاسًا، مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَ أَكْثَرُوا، وَ زَنَوْا وَ أَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺفَقَالُوا: -
إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَ تَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً
فَنَزَلَ:-{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ} [الفرقان: 68]
وَ نَزَلَتْ{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر: 53]( )
***فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ:-
أَنَّهُ يَغْفِرُ جَمِيعَ ذَلِكَ مَعَ التَّوْبَةِ،وَ لَا يَقْنَطَنَّ عَبْدٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ وَ كَثُرَتْ؛ فَإِنَّ بَابَ التَّوْبَةِ وَ الرَّحْمَةِ وَاسِعٌ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:-{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [التَّوْبَةِ:104]

(لما عملنا) في الجاهلية من آثام. (كفارة) ما يمحوه ويغطيه.

وَ قَالَ تَعَالَى:-{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النِّسَاءِ:110] ،

وَ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْمُنَافِقِينَ: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلا الَّذِينَ تَابُوا} [النِّسَاءِ:146، 145]

وَ قَالَ {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الْمَائِدَةِ:73]

ثُمَّ قَالَ {أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الْمَائِدَةِ:74] ،

وَقَالَ {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا} [الْبُرُوجِ:10] .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:

انْظُرْ إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَ الْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ

وَ هُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَ الْمَغْفِرَةِ!

❍يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه،

و يحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقـــــــال: –

التوبة و الترغيب و الترهيب53-61

(قُلْ)

يا أيها الرسول و من قام مقامه من الدعاة لدين اللّه، مخبرا للعباد عن ربهم:–

(يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ)

باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب،و السعي في مساخط علام الغيوب.

(لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ)

أي:–لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة،

و تقولوا قد كثرت ذنوبنا و تراكمت عيوبنا،

فليس لها طريق يزيلها و لا سبيل يصرفها،

فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان،

متزودين ما يغضب عليكم الرحمن،

و لكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه و جوده،

(إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ)

و اعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، و القتل،و الزنا،و الربا،و الظلم، و غير ذلك من الذنوب الكبار و الصغار.

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)

أي:–وصفه المغفرة و الرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، و لم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل و النهار،

و يوالي النعم على العباد و الفواضل في السر و الجهار،

و العطاء أحب إليه من المنع،

و الرحمة سبقت الغضب و غلبته، .

و لكن لمغفرته و رحمته و نيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد،

فقد أغلق على نفسه باب الرحمة و المغفرة، أعظمها و أجلها،

بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى اللّه تعالى بالتوبة النصوح، و الدعاء و التضرع و التأله و التعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجل، و الطريق الأعظم.

◀ أعادته آية !

أنا شاب مسلم من أسرة مسلمة متوسطة، هاجرتُ إلى كندا منذ عشر سنوات، وهناك؛ حيث يباح كل شيء، ويتم في وضح النهار مهما كان مخزيا؛ انزلقتُ إلى مستنقع الفواحش، وغَرِقْتُ في الرذيلة المحرمة إلى أقصى درجة، ثم جاءتني فرصةٌ للعمل في القاهرة بإحدى الوكالات التابعة لهيئةٍ دوليةٍ معروفةٍ، وفي القاهرة تعرفت على مجتمع من الشباب المنفلت البغيض، ونظرًا لما حباني به الله من وَسَامة وجاذبية في الحديث؛ فقد كانوا يرحبون بي أينما حللت!

وفي أحد الأيام كنتُ أتصفح الشبكة العنكبوتية؛ فدخلت أحدَ المواقعِ النصرانيةِ التي تَسُبُّ سيدي وحبيبي ﷺ، وأحسست بالدماء تغلي في عروقي حتى ليكاد رأسي ينفجر من الغيظ، ووجدت بالموقع رابطًا لبرامج بعض المنصرين؛ فهالني ما أسمع، إلا أنى أحسست عند استشهاده بإحدى الآيات القرآنية أن هناك تغييرًا مُتَعَمَّدًا في كلماتها، ولكني لم أكن متأكدا منه، فقررت أن أعود للآية التي يَستشهد بها للتأكد من صدق ما يطرحه من أدلةٍ على شبهاته، وأمسكت المصحف لأول مرة منذ خمس سنوات للبحث عن الآية المذكورة، ولكن قبل أن أصل إليها وقعت عيني على قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، ووجدت نفسي أكررها عدة مرات، وانتابتني موجة من البكاء حتى علا صوتي وأنا أبكي وأستغفر الله، وأعلنت التوبة، وانتظمت في صلاتي، وأرجو من الله أن يتقبل مني توبتي.

الزمر: ٥٣.

ثم بدأت بعد ذلك رحلة طويلة من الدراسة للقرآن الكريم، وكلما أنعم الله

و لهذا أمر تعالى بالإنابة إليه، و المبادرة إليها فقـــــــال:-

(وَأَنِيبُوٓاْ)

***ارجعوا الى الله و استسلموا

(إِلَىٰ رَبِّكُمْ)

بقلوبكم

(وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ)

بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح،

و إذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا.

و في قوله (إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ)

دليل على الإخلاص و أنه من دون إخلاص،لا تفيد الأعمال الظاهرة و الباطنة شيئا.

(مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ)

مجيئا لا يدفع

(ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)

فكأنه قيل: ما هي الإنابة و الإسلام؟

و ما جزئياتها و أعمالها؟

فأجاب تعالى بقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾

مما أمركم من الأعمال الباطنة:-

كمحبـــــــة اللّه، و خشيتـــــــه، و خـــــــوفه، و رجـــــــائه،

و النصـــــــح لعباده، و محبـــــــة الخير لهم، و ترك ما يضاد ذلك.

و من الأعمال الظاهرة:-

كالصـــــــلاة، و الزكاة و الصيام، و الحج، و الصدقة، و أنواع الإحسان،

و نحو ذلك، مما أمر اللّه به،

و هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا،

فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور و نحوها هو المنيب المسلم،

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً﴾

* فجأة

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾

*و أنتم لا تعلمون به.

و كل هذا حثٌّ على المبادرة و انتهاز الفرصة.

ثم حذرهم (أن)

يستمروا على غفلتهم، حتى يأتيهم يوم يندمون فيه، و لا تنفع الندامة.

و (تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ)

أي: في جانب حقه.

(وَإِن كُنتُ)

في الدنيا

(لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ)

في إتيان الجزاء، حتى رأيته عيانا.

***إِنَّمَا كَانَ عَمَلِي فِي الدُّنْيَا عَمَلَ سَاخِرٍ مُسْتَهْزِئٍ غَيْرِ مُوقِنٍ مُصَدِّقٍ.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾

لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ

أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ)

و « لو » في هذا الموضع للتمني، أى:-

ليت أن اللّه هداني فأكون متقيا له، فأسلم من العقاب و أستحق الثواب،

و ليست « لو » هنا شرطية، لأنها لو كانت شرطية،

لكانوا محتجين بالقضاء و القدر على ضلالهم،

و هو حجة باطلة، و يوم القيامة تضمحل كل حجة باطلة.

(أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ)

و تجزم بوروده

(لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً)

أي: رجعة إلى الدنيا

(فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ)

قال تعالى: إن ذلك غير ممكن و لا مفيد،

و إن هذه أماني باطلة لا حقيقة لها،

إذ لا يتجدد للعبد لَوْ رُدَّ، بيان بعد البيان الأول.

(بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي)

الدالة دلالة لا يمترى فيها على الحق

(فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ)

عن اتباعها

(وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

فسؤال الرد إلى الدنيا، نوع عبث،

{وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[الأنعام: 28]

وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١

(وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ)

***بكذبهم و افترائهم

و الكـــــــذب على اللّه يشمـــــــــل:-

1-الكذب عليه باتخاذ الشريك و الولد و الصاحبة،

2-و الإخبار عنه بما لا يليق بجلاله

3-أو ادعـــــــاء النبوة،

4-أو القول في شرعه بما لم يقله، و الإخبار بأنه قاله و شرعه.

يخبر تعالى عن خزي الذين كذبوا عليه،

و أن (وُجُوهُهُم)

يوم القيامة

(مُّسۡوَدَّةٌۚ)

كأنها الليل البهيم،

يعرفهم بذلك أهل الموقف، فالحق أبلج واضح كأنه الصبح،

فكما سوَّدوا وجه الحق بالكذب، سود اللّه وجوههم، جزاء من جنس عملهم.

فلهم سواد الوجوه، و لهم العذاب الشديد في جهنم

و لهذا قال:-(أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى)

*مأوى و مسكن

(لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ)

عن الحق، و عن عبادة ربهم، المفترين عليه؟

بلى و اللّه، إن فيها لعقوبة و خزيا و سخطا، يبلغ من المتكبرين كل مبلغ،

و يؤخذ الحق منهم بها.

و لما ذكر حالة المتكبرين، ذكر حالة المتقين،

فقال:-(وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ)

أي: بنجاتهم، و ذلك لأن معهم آلة النجاة،

و هي تقوى اللّه تعالى، التي هي العدة عند كل هول و شدة

(لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ)

أي: العذاب الذي يسوؤهم

(وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)

*الميسر:على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

❍فنفى عنهم مباشرة العذاب و خوفه، و هذا غاية الأمان.

فلهم الأمن التام، يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام،

فحينئذ يأمنون من كل سوء و مكروه، و تجري عليهم نضرة النعيم،

و يقولون(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ)

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣

يخبر تعالى عن عظمته و كماله، الموجب لخسران من كفر به

فقال: (ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ)

دلائل الربوبية 62-67

هذه العبارة و ما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تـــــــدل على:-

أن جميع الأشياء – غير اللّه – مخلوقـــــــة،

ففيها رد على كل من قال بقدم بعض المخلوقات،

كالفلاسفة القائلين بقدم الأرض و السماوات،و كالقائلين بقدم الأرواح،

و نحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه.

و ليس كلام اللّه من الأشياء المخلوقة،

لأن الكلام صفة المتكلم، واللّه تعالى بأسمائه و صفاته أول ليس قبله شيء،

❍فأخذ أهل الاعتزال من هذه الآية و نحوها أنه مخلوق، من أعظم الجهل،

فإنه تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته،

و لم يحدث له صفة من صفاته

و لم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات،

و الشـــــاهد مـــــن هـــــذا:-

أن اللّه تعالى أخبر عن نفسه الكريمة أنه خالق لجميع العالم العلوي

و السفلي،

(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)

*الميسر:و هو على كل شيء حفيظ يدَبِّر جميع شؤون خلقه.

❍و أنه على كل شيء وكيل،

و الوكـــــالة التـــامة لا بد فيها مـــــن:-

1-علـــــم الوكيل،بما كان وكيلا عليه، و إحاطته بتفاصيله،

2-و من قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه،

3-و من حفظ لما هو وكيل عليه،

4-و من حكمة، و معرفة بوجوه التصرفات،

ليصرفها و يدبرها على ما هو الأليق، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله،

فما نقص من ذلك، فهو نقص فيها.

❍و من المعلوم المتقرر أن اللّه تعالى منزه عن كل نقص في صفة من صفاته

فإخبـــــــاره بأنه على كل شيء وكيـــــــل:-

1-يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء،

2-و كمال قدرته على تدبيرها،و كمال تدبيره،

3-و كمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها.

(لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ)

أي: مفاتيحها، علما و تدبيرا،

***الْمَفَاتِيحُ بِالْفَارِسِيَّةِ.

***خزائن السموات وَ الْأَرْضِ.

فـــــــــ(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

فلما بين من عظمته ما يقتضي أن تمتلئ القلوب له إجلالا و إكراما،

ذكر حال من عكس القضية فلم يقدره حق قدره،

فقال: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)

الدالة على الحق اليقين و الصراط المستقيم.

(أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ)

خسروا ما به تصلح القلوب من-

التأله و الإخلاص للّه،

و ما به تصلح الألسن من-

إشغالها بذكر اللّه،

و ما تصلح به الجوارح من-

طاعة اللّه،

و تعوضوا عن ذلك كل مفسد للقلوب و الأبدان،

و خسروا جنات النعيم، و تعوضوا عنها بالعذاب الأليم.

قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ

وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾

بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

(قُلْ)

يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير اللّه:

(أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ)

أي: هذا الأمر صدر من جهلكم،

و إلا فلو كان لكم علم بأن اللّه تعالى الكامل من جميع الوجوه،

مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصا من كل وجه، لا ينفع و لا يضر، لم تأمروني بذلك.

و ذلك لأن الشرك باللّه محبط للأعمال، مفسد للأحوال،

و لهـــــــذا قال:-(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ)

من جميع الأنبياء.

(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ)

*الميسر:-ليبطلنّ

(عَمَلُكَ)

❍هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء،

أن الشرك محبط لجميع الأعمال،

كما قال تعالى في سورة الأنعام –لما عدَّد كثيرا من أنبيائه و رسله قال عنهم:–

(ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

(وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)

دينك و آخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، و يستحق العقاب و النكال.

ثم قال:-(بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ)

لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، و أخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص

فقال:-(بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ)

أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك له

(وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)

للّه على توفيق اللّه تعالى،

فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كـــــــــ:-

1-صحـــــــــة الجسم و عافيته،

2-و حصـــــــــول الرزق و غير ذلك،

كذلك يشكر و يثنى عليه بالنعم الدينية، كـــــــــ:-

1-التوفيـــــــــق للإخلاص،

2-و التقـــــــــوى،

○بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة،

و في تدبر أنها من اللّه تعالى و الشكر للّه عليها:-

ســـــــــلامة من آفة العجـــــــــب

التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم،

و إلا فلو عرف العبد حقيقة الحال،

لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧

***وَ قَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ،
وَ الطَّرِيقُ فِيهَا وَ فِي أَمْثَالِهَا مَذْهَبُ السَّلَفِ،
وَ هُوَ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَ لَا تَحْرِيفٍ.

*جاء فى الصحيح المسند من أسباب النزول:-

صحيح البخاري

4811 - عَنْ عَبْد اللّه ﷺقَالَ:-
جَاءَ حَبْرٌ منَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺفَقَالَ:-
يَا مُحَمّدُ إِنَّا نَجِدُ:-
أَنّ اللّهَ يَجْعَلُ السّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ
و الأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ،
و الشّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ،
و المَاءَ وَالثّرَى عَلَى إِصْبَعٍ،
و سَائرَ الخَلاَئقِ عَلَى إِصْبَعٍ،
فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ،
فَضَحِكَ النّبِيّ ﷺحَتّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ،
ثُمّ قَرَأَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ:

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}( )

(وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ)

يقول تعالى: و ما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره،

و لا عظموه حق تعظيمه

بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه و أفعاله،

فأوصافه ناقصة من كل وجه،

و أفعاله ليس عنده نفع و لا ضر، و لا عطاء و لا منع،

و لا يملك من الأمر شيئا.

فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمته الباهرة

و قدرته القاهرة، أن :-

(وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ)

*الميسر:-فى قبضته

(يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ)

و أن السماوات – على سعتها و عظمها –

(حبر) عالم من علماء اليهود. (نجد) في التوراة. (الثرى) التراب المندى. (نواجذه) الأسنان التي تظهر عند الضحك و هي الأنياب.(تصديقا) موافقة.

(مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ)

فلا عظمه حق عظمته من سوَّى به غيره، و لا أظلم منه.

***صحيح البخاري

4812 - عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ:-

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:-

" يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَ يَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ:-

أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ "

(سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

أي: تنـــــــــزه و تعاظم عن شركهم به.

صحيح مسلم

(2788)عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ،

أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:-

يَأْخُذُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَ أَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ،

فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ - وَ يَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ "

حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ،

حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟

*الميسر:فـــي الآيـــة دليـــــل على :-

1-إثبات القبضة،

2-و اليميـــــن،

3-و الطـــــيِ، لله كما يليق بجلاله و عظمته،

من غير تكييف و لا تشبيه.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ
ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا
وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ
وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا
وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ
وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ
عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ
فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ
زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ
طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ
وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ
ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا

وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾

لما خوفهم تعالى من عظمته، خوفهم بأحوال يوم القيامة،

و رغَّبهم و رهَّبهم فقال:-(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ)

و هو قرن عظيم، لا يعلم عظمته إلا خالقه،

و من أطلعه اللّه على علمه من خلقه، فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام أحد الملائكة المقربين، و أحد حملة عرش الرحمن.

(فَصَعِقَ)

أي: غشي أو مات، على اختـــــــلاف القوليـــــــن:-

(مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ)

أي: كلهم، لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها و عظمها،

و ما يعلمون أنها مقدمة له.

مشاهد يوم القيامة و انقسام الناس 68-75

(إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ)

ممن ثبته اللّه عند النفخة، فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم، و غيرهم

و هذه النفخة الأولى، نفخة الصعق، و نفخة الفزع.

(ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ)

النفخة الثانية نفخة البعث

(فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ)

أي: قد قاموا من قبورهم لبعثهم و حسابهم،

قد تمت منهم الخلقة الجسدية و الأرواح، و شخصت أبصارهم

(يَنظُرُونَ)

ماذا يفعل اللّه بهم.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}[النَّازِعَاتِ:13،14]

وَ قَالَ تَعَالَى:{يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا} [الْإِسْرَاءِ:52]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} [الرُّومِ:25]

***صحيح مسلم

(2940) قال النبي ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي:-

أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا

فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ،

فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ،

ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ،

فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ،

حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ

قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ

قَالَ: " فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ،
لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَ لَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ،
فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟
فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟
فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَ هُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ،
ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا،
قَالَ:وَ أَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ،
قَالَ: فَيَصْعَقُ،وَ يَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا
كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ –
فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ
ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ،
قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟
فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ
قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَ ذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ "
***صحيح البخاري
4935 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»
قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟
قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟
قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟
قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ،
لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا
وَ هُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَ مِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»

(وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا)

***أَضَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا تَجَلَّى الْحَقُّ، تَبَارَكَ وَ تَعَالَى، لِلْخَلَائِقِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ

علم من هذا،أن الأنوار الموجودة تذهب يوم القيامة و تضمحل،

و هو كذلك،

فإن اللّه أخبر أن الشمس تكور، و القمر يخسف، و النجوم تندثر،

و يكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها،

عندما يتجلى و ينزل للفصل بينهم،

و ذلك اليوم يجعل اللّه للخلق قوة،

و ينشئهم نشأة يَقْوَوْنَ على أن لا يحرقهم نوره، و يتمكنون أيضا من رؤيته،

و إلا فنوره تعالى عظيم، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

(وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ)

أي: كتاب الأعمال و ديوانه، وضع و نشر،

ليقرأ ما فيه من الحسنات و السيئات، كما قال تعالى:-

(وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)

و يقال للعامل من تمام العدل و الإنصاف:

(اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)

(وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ)

ليسألوا عن التبليغ، و عن أممهم، و يشهدوا عليهم.

(وَٱلشُّهَدَآءِ)

من الملائكة، و الأعضاء و الأرض.

(وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ)

أي: العدل التام و القسط العظيم، لأنه حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة،

و من هو محيط بكل شيء،

و كتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، و الحفظة الكرام،

و الذين لا يعصون ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه،

و أعدل الشهداء قد شهدوا على ذلك الحكم،

فحكم بذلك من يعلم مقادير الأعمال و مقادير استحقاقها للثواب و العقاب.

فيحصل حكم يقر به الخلق، و يعترفون للّه بالحمد و العدل،

و يعرفون به من عظمته و علمه و حكمته و رحمته ما لم يخطر بقلوبهم،

و لا تعبر عنه ألسنتهم،

(وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)

*الميسر:-شيئًا بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

و لهذا قال: (وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ)

***من خير أو شر

(وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ)

*الميسر:في الدنيا من طاعة أو معصية.

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤

لما ذكر تعالى حكمه بين عباده، الذين جمعهم في خلقه و رزقه و تدبيره، و اجتماعهم في الدنيا، و اجتماعهم في موقف القيامة، فرقهم تعالى عند جزائهم، كما افترقوا في الدنيا بالإيمان و الكفر، و التقوى و الفجور، فقال: (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ)

أي:سوقا عنيفا، يضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد،

إلى شر محبس و أفظع موضع،

و هي جهنم التي قد جمعت كل عذاب،

و حضرها كل شقاء،

و زال عنها كل سرور، كما قال تعالى:

(يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) [الطُّورِ:13]

أي: يدفعون إليها دفعا، و ذلك لامتناعهم من دخولها.

***وَ هُمْ عِطَاشٌ ظِمَاءٌ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:

{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا}

[مَرْيَمَ:86، 85]

وَ هُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ صُمٌّ وَ بُكْمٌ وَ عُمْيٌ، مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ،

{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الْإِسْرَاءِ:97]

و يساقون إليها (زُمَرًا)

أي: فرقا متفرقة،

كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، و تشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضا،

و يبرأ بعضهم من بعض.

(حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا)

أي: وصلوا إلى ساحتها

(فُتِحَتْ)

لهم أي: لأجلهم

(أَبْوَابُهَا)

لقدومهم و قِرًى لنزولهم.

(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ)

مهنئين لهم بالشقاء الأبدي، و العذاب السرمدي،

و موبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحل الفظيع:-

(أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ)

أي: من جنسكم تعرفونهم و تعرفون صدقهم، و تتمكنون من التلقي عنهم؟.

(يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِ رَبِّكُمْ)

التي أرسلهم اللّه بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين.

(وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا)

أي:و هذا يوجب عليكم اتباعهم و الحذر من عذاب هذا اليوم،

باستعمال تقواه، و قد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟

(قَالُوا)

مقرين بذنبهم، و أن حجة اللّه قامت عليهم:-

(بَلَىٰ)

قد جاءتنا رسل ربنا بآياته و بيناته،و بينوا لنا غاية التبيين،

و حذرونا من هذا اليوم.

(وَلَٰكِنْ حَقَّتْ)

وجبت عليهم

(كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ)

بسبب كفرهم

التي هي لكل مـــــــــن:-

1- كفـــــــــر بآيات اللّه،

2-و جحـــــد ما جاءت به المرسلون،

فاعترفوا بذنبهم و قيام الحجة عليهم.

فـــــــــ(قِيلَ) لهم على وجه الإهانة و الإذلال:-

(ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ)

كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها و يوافق عملها.

(خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ)

أبدا، لا يظعنون عنها، و لا يفتر عنهم العذاب ساعة و لا ينظرون.

(فَبِئْسَ مَثْوَى)

أي: بئس المقر، النار مقرهم

(ٱلْمُتَكَبِّرِينَ)

و ذلك لأنهم تكبروا على الحق،

فجازاهم اللّه من جنس عملهم، بالإهانة و الذل، و الخزي.

ثم قال عن أهل الجنة:-(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ)

بتوحيده و العمل بطاعته، سوق إكرام و إعزاز، يحشرون وفدا على النجائب.

(إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ)

***جماعة بعد جماعة

❍فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة، التي تناسب عملها و تشاكله.

***جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ:-

الْمُقَرَّبُونَ، ثُمَّ الْأَبْرَارُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ :-

الْأَنْبِيَاءُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ

وَ الصِّدِّيقُونَ مَعَ أَشْكَالِهِمْ،

وَ الشُّهَدَاءُ مَعَ أَضْرَابِهِمْ،

وَ الْعُلَمَاءُ مَعَ أَقْرَانِهِمْ،

وَ كُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفٍ،

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا)

أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة و المنازل الأنيقة،

و هبَّ عليهم ريحها و نسيمها، و آن خلودها و نعيمها

***وَصَلُوا إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ بَعْدَ مُجَاوَزَةِ الصِّرَاطِ حُبِسُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ،
فَاقْتَصَّ لَهُمْ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا،
حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا و نُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ،
***صحيح مسلم

(197) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ،
فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟
فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ،
فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ "

(وَفُتِحَتْ)

لهم

(أَبْوَابُهَا)

فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها.

(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا)

تهنئة لهم و ترحيبا:–

(سَلَمٌ عَلَيْكُمْ)

أي: سلام من كل آفة و شر حال عليكم

(طِبْتُمْ)

أي:طابت قلوبكم بمعرفة اللّه و محبته و خشيته،

و ألسنتكم بذكره،

و جوارحكم بطاعته.

(فـ) بسبب طيبكم

(فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ)

لأنها الدار الطيبة، و لا يليق بها إلا الطيبون.

***صحيح البخاري :-

1896 عَنْ سَهْلٍ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ،

فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ ( )

***صحيح مسلم

(234) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍﷺ

قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺقَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَ وَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»

قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ:-

---

(الريان) صيغة مبالغة من الري و هو نقيض العطش]

الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ:-
إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا
قَالَ:-مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ
ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَ رَسُولُهُ
إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ "( )

❍و قال في النار (فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا)

و في الجنة

(وَفُتِحَتْ)

بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها،

فتحت لهم أبوابها من غير إنظار و لا إمهال،

و ليكون فتحها في وجوههم، و على وصولهم، أعظم لحرها، و أشد لعذابها.

❍و أما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها

و لا ينالها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها،

و مع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه

فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها

بل يستشفعون إلى اللّه بمحمد ﷺ حتى يشفع، فيشفعه اللّه تعالى.

و في الآيات دليل على أن النار و الجنة لهما أبواب تفتح و تغلق،

(ما أجود هذه) يعني هذه الكلمة أو الفائدة أو البشارة أو العبادة وجودتها من جهات منها أنها سهلة متيسرة بقدر عليها كل أحد بلا مشقة ومنها أن أجرها عظيم (آنفا) أي قريبا (فيبلغ أو يسبغ) هما بمعنى واحد أي يتمه ويكلمه فيوصله مواضعه على الوجه المسنون]

و أن لكل منهما خزنة،

و هما الداران الخالصتان، اللتان لا يدخل فيهما إلا من استحقهما،

بخلاف سائر الأمكنة و الدور.

(وَقَالُوا)

عند دخولهم فيها و استقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم

و منَّ عليهم و هداهم:-

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ)

أي:-وعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا و صلحنا،

فوفَّى لنا بما وعدنا، و أنجز لنا ما منَّانا.

***كَمَا دَعَوْا فِي الدُّنْيَا:-{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آلِ عِمْرَانَ: 194]

{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الْأَعْرَافِ:43]

{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}[فَاطِرٍ:35، 34]

(وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ)

أي: أرض الجنة

(نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ)

أي: ننزل منها أي مكان شئنا، و نتناول منها أي نعيم أردنا،

ليس ممنوعا عنا شيء نريده.

(فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ)

الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع،

فنالوا بذلك خيرا عظيما باقيا مستمرا.

و هذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة،

التي يكرم اللّه فيها خواص خلقه،

و رضيها الجواد الكريم لهم نزلا و بنى أعلاها و أحسنها،

و غرسها بيده،

و حشاها من رحمته و كرامته ما ببعضه :-

يفرح الحزين،

و يزول الكدر،

و يتم الصفاء.

***صحيح مسلم

(2928) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِابْنِ صَائِدٍ: «مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ؟»

قَالَ: دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ( ) مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ
قَالَ: «صَدَقْتَ»

وَ الدَّرْمَكُ هُوَ:- الدَّقِيقُ الْحَوَارِيُّ الْخَالِصُ الْبَيَاضُ

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ
وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سورة غافر-بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ
وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾
مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ
وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ
وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾
وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾
ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ

وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

(وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ)

أيها الرائي ذلك اليوم العظيم

(حَآفِّينَ)

*الميسر:محيطين

(مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ)

أي: قد قاموا في خدمة ربهم، و اجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله.

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ)

أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون و ما لم ينسبوا.

(وَقُضِيَ بَيْنَهُم)

أي: بين الأولين و الآخرين من الخلق

(بِٱلْحَقِّ)

الذي لا اشتباه فيه و لا إنكار، ممن عليه الحق

(وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

لم يذكر القائل من هو [بَلْ أَطْلَقَهُ] ليدل ذلك على :-

أن جميع الخلق-نَاطِقِهِ وَ بَهِيمِهِ- نطقوا بحمد ربهم و حكمته على ما قضى به على أهل الجنة و أهل النار،

حمـــــــد:-

فضـــــــل و إحســـــــان،

و حمـــــــد:-

عـــــــدل و حكمـــــــة.

***قَالَ قَتَادَةُ: افْتَتَحَ الْخَلْقَ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ:-

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ} [الْأَنْعَامِ:1]

وَ اخْتَتَمَ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ:{وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

تم تفسير سورة الزمر بحمد اللّه و عونه.

تفسيـــــــر ســـــــورة المـــــــؤمن مكيـــــــة

سورة غافر-بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾

(حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ)

صفات الله 1-3

يخبر تعالى عن كتابه العظيم و بأنه صادر و منزل من الله، المألوه المعبود، لكماله و انفراده بأفعاله،

(ٱلْعَزِيزِ)

الذي قهر بعزته كل مخلوق

(ٱلْعَلِيمِ)

بكل شيء.

(غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ)

للمذنبين

(وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ)

من التائبين،

(شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ)

على من تجرأ على الذنوب و لم يتب منها،

***وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَ عَتَا عَنْ أَوَامِرِ اللَّهِ، وَ بَغَى

وَ قَدِ اجْتَمَعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الرَّجَاءُ وَ الْخَوْفُ.

وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

{نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ}

[الْحِجْرِ: 49،50]

(ذِى ٱلطَّوْلِ)

أي: التفضل و الإحسان الشامل.

***{وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}

[إِبْرَاهِيمَ: 34]

❍فلما قرر ما قرر من كماله و كان ذلك موجبًا لأن يكون وحده،

المألوه الذي تخلص له الأعمال

قال:-(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)

***لَا نَظِيرَ لَهُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، فَلَا إِلَهَ غَيْرَهُ، وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ

(إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ)

***الْمَرْجِعُ وَ الْمَآبُ،فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ،

{وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [الرَّعْدِ: 41] .

و وجه المناسبة بذكر نزول القرآن من الله الموصوف بهذه الأوصاف

أن هذه الأوصاف مستلزمة لجميع ما يشتمل عليه القرآن، من المعاني.

فـــــــإن القـــــــــرآن:-

1-إما إخبار عن أسماء الله، و صفاته، و أفعاله،

و هذه أسماء، و أوصاف، و أفعال.

2-و إما إخبار عن الغيوب الماضية و المستقبلة،

فهي من تعليم العليم لعباده.

3-و إما إخبار عن نعمه العظيمة، و آلائه الجسيمة

و ما يوصل إلى ذلك، من الأوامر،

فذلك يدل عليه قوله: (ذِي الطَّوْلِ)

4-و إما إخبار عن نقمه الشديدة،و عما يوجبها و يقتضيها من المعاصي،

فذلك يدل عليه قوله: (شَدِيدِ الْعِقَابِ)

5–و إما دعوة للمذنبين إلى التوبة و الإنابة، و الاستغفار،

فذلك يدل عليه قوله: (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ)

6–و إما إخبار بأنه وحده المألوه المعبود،

و إقامة الأدلة العقلية و النقلية على ذلك، و الحث عليه،

و النهي عن عبادة ما سوى الله،

و إقامة الأدلة العقلية والنقلية على فسادها و الترهيب منها،

فذلك يدل عليه قوله تعالى: (لا إِلَهَ إِلا هُوَ)

7–و إما إخبار عن حكمه الجزائي العدل، و ثواب المحسنين،

و عقاب العاصين، فهذا يدل عليه قوله:–(إِلَيْهِ الْمَصِيرُ)

فهذا جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العاليات.

مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ
لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾
وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾

حال الكفار و تكذيب الامم السابقة 4-6

(مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)

يخبر تبارك و تعالى أنه ما يجادل في آياته

(إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

و المـــــراد بالمجــــادلة هنــــا:-

المجـــــادلة لرد آيات الله و مقابلتهــــا بالباطل،

فهذا من صنيع الكفار،

❍و أما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل،

و لا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية،

و يظن أن إعطاء الله إياه في الدنيا دليل على محبته له

و أنه على الحق و لهذا قال:-(فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ)

***فِي أَمْوَالِهِمْ وَ نَعِيمِهَا وَ زَهْرَتِهَا،

❍أي:-ترددهم فيها بأنواع التجارات و المكاسب،

بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق،

و ينظر إلى الحقائق الشرعية

و يزن بها الناس،و لا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم و لا عقل له.

*** كَمَا قَالَ: {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} [آلِ عِمْرَانَ: 196،197]

وَ قَالَ تَعَالَى: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لُقْمَانَ: 24]

(كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ)

***وَ هُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثه اللَّهُ يَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ،

(وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ)

***من كل أمة

ثم هدد من جادل بآيات الله ليبطلها،

كما فعل من قبله من الأمم من قوم نوح و عاد و الأحزاب من بعدهم،

الذين تحزبوا و تجمعوا على الحق ليبطلوه، و على الباطل لينصروه،

(و) أنه بلغت بهم الحال،

و آل بهم التحزب إلى أنه

(وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ)

من الأمم

(بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ)

أي:-يقتلـــوه(***حَرَصُوا عَلَى قَتْلِهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ رَسُولَهُ)

❍و هذا أبلغ ما يكون الرسل الذين هم قادة أهل الخير الذين معهم الحق الصرف الذي لا شك فيه و لا اشتباه، هموا بقتلهم،

فهل بعد هذا البغي و الضلال و الشقاء إلا العذاب العظيم الذي لا يخرجون منه؟

(وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ)

***مَاحَلُوا بِالشُّبْهَةِ

(لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ)

لِيَرُدُّوا الْحَقَّ الْوَاضِحَ الْجَلِيَّ.

❍و لهذا قال في عقوبتهم الدنيوية و الأخروية:-

(فَأَخَذْتُهُمْ)

***أَهْلَكَتْهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ هَذِهِ الْآثَامِ وَ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ

أي: بسبب تكذيبهم و تحزبهم

(فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)

*الميسر:فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق،

و عظة لمن يأتي بعدهم؟

❍كان أشد العقاب و أفظعه،

ما هو إلا صيحة

أو حاصب ينزل عليهم

أو يأمر الأرض أن تأخذهم،

حملة العرش و تسبيحهم و دعاؤهم7-9

أو البحر أن يغرقهم فإذا هم خامدون.

(وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ)

أي: كما حقت على أولئك،حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب،

و لهذا قال: (أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ)

***كَمَا حَقَّتْ كلمةُ الْعَذَابِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ
كَذَلِكَ حَقَّتْ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ وَ خَالَفُوكَ يَا مُحَمَّدُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى
لِأَنَّ مَنْ كَذَّبَكَ فَلَا وُثُوقَ لَهُ بِتَصْدِيقِ غَيْرِكَ.

ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧

يخبر تعالى عن كمال لطفه تعالى بعباده المؤمنين،
و ما قيض لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرهم، مـــــــــن:-
استغفار الملائكة المقربين لهم،
و دعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم و آخرتهم،
و في ضمن ذلك الإخبار عن شرف حملة العرش و من حوله،
و قربهم من ربهم،
و كثرة عبادتهم ونصحهم لعباد الله، لعلمهم أن الله يحب ذلك منهم فقال:-

(ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ)

أي:عرش الرحمن،الذي هو سقف المخلوقات و أعظمها و أوسعها و أحسنها،
و أقربها من الله تعالى،الذي وسع الأرض و السماوات و الكرسي،

و هؤلاء الملائكة، قد وكلهم الله تعالى بحمل عرشه العظيم،

فلا شك أنهم من أكبر الملائكة و أعظمهم و أقواهم،

❍و اختيار الله لهم لحمل عرشه، و تقديمهم في الذكر، و قربهم منه،

يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام،

قال تعالى: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)

(وَمَنْ حَوْلَهُ)

من الملائكة المقربين في المنزلة و الفضيلة

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)

***يَقْرِنُونَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ الدَّالِّ عَلَى نَفْيِ النَّقَائِصِ،وَ التَّحْمِيدِ الْمُقْتَضِي لِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْمَدْحِ

❍هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم للّه تعالى،

و خصوصًا التسبيح و التحميد،

و سائر العبادات تدخل في تسبيح الله و تحميده،

لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره،

و حمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة للّه تعالى،

(وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ)

***خَاشِعُونَ لَهُ أَذِلَّاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ،

❍و أما قول العبد: « سبحان الله وبحمده »

فهو داخل في ذلك و هو من جملة العبادات.

(وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا)

***مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِمَّنْ آمَنَ بِالْغَيْبِ
فَقَيَّضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ،
وَ لَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ سَجَايَا الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ،
كَانُوا يُؤَمِّنون عَلَى دُعَاءِ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ،
كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:
2732-قال النبى ﷺ:-
إِذَا دَعَا الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ:- آمِينَ وَ لَكَ بِمِثْلِهِ.

و هذا من جملة فوائد الإيمان و فضائله الكثيرة جدًا:-

أن الملائكة الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان،

فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم.

ثم و لما كانت المغفرة لها لوازم لا تتم إلا بها –

غير ما يتبادر إلى كثير من الأذهان، أن سؤالها و طلبها غايته مجرد مغفرة الذنوب–

ذكر تعالى صفة دعائهم لهم بالمغفرة، بذكر ما لا تتم إلا به،

فقال: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا)

فعلمك قد أحاط بكل شيء، لا يخفى عليك خافية،

و لا يعزب عن علمك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء،

و لا أصغر من ذلك و لا أكبر، و رحمتك وسعت كل شيء،

فالكون علويه و سفليه قد امتلأ برحمة الله تعالى و وسعتهم، و وصل إلى ما وصل إليه خلقه.

(فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ)

من الشرك و المعاصي

(وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ)

باتباع رسلك، بتوحيدك و طاعتك

(وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ)

أي: قهم العذاب نفسه، و قِهِم أسباب العذاب.

رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ
وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ
وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ
إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا
ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ
إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ
ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ
مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ
لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾

رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ
وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ
وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾

(رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ)

على ألسنة رسلك

(وَمَن صَلَحَ)

أي: صلح بالإيمان و العمل الصالح

(مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ)

زوجاتهم و أزواجهن و أصحابهم و رفقائهم

(وَذُرِّيَّٰتِهِمْ)

*الميسر:و أولادهم

(إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ)

القاهر لكل شيء،

فبعزتك تغفر ذنوبهم، و تكشف عنهم المحذور، و توصلهم بها إلى كل خير

(ٱلْحَكِيمُ)

الذي يضع الأشياء مواضعها

فلا نسألك يا ربنا أمرا تقتضي حكمتك خلافه،

بل من حكمتك التي أخبرت بها على ألسنة رسلك،

و اقتضاها فضلك، المغفرة للمؤمنين.

(وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ)

أي: الأعمال السيئة و جزاءها، لأنها تسوء صاحبها.

(وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ)

أي:-يوم القيامة

(فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ)

لأن رحمتك لم تزل مستمرة على العباد،

لا يمنعها إلا ذنوب العباد و سيئاتهم،

فمن وقيته السيئات وفقته للحسنات و جزائها الحسن.

(وَذَٰلِكَ)

أي:-زوال المحذور بوقاية السيئات، و حصول المحبوب بحصول الرحمة

(هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ)

الذي لا فوز مثله، و لا يتنافس المتنافسون بأحسن منه.

و قد تضمن هذا الدعاء من الملائكة-

1-كمال معرفتهم بربهم،

2-و التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، التي يحب من عباده التوسل بها إليه،

3-و الدعاء بما يناسب ما دعوا الله فيه،

فلما كان دعاؤهم بحصول الرحمة،و إزالة أثر ما اقتضته النفوس البشرية التي علم الله نقصها و اقتضاءها لما اقتضته من المعاصي،

و نحو ذلك من المبادئ و الأسباب التي قد أحاط الله بها علمًا:-

تـــــــوسلـــــــوا بالرحيـــــــم العليـــــــم.

و تضمن كمال أدبهم مع الله تعالى بإقرارهم بربوبيته لهم الربوبية العامة

و الخاصة،و أنه ليس لهم من الأمر شيء

و إنما دعاؤهم لربهم صدر من فقير بالذات من جميع الوجوه

لا يُدْلِي على ربه بحالة من الأحوال، إن هو إلا فضل الله و كرمه و إحسانه.

و تضمن موافقتهم لربهم تمام الموافقة، بمحبة ما يحبه من الأعمال

التي هي العبادات التي قاموا بها،

و اجتهدوا اجتهاد المحبين،

و من العمال الذين هم المؤمنون الذين يحبهم الله تعالى من بين خلقه،

فسائر الخلق المكلفين يبغضهم الله إلا المؤمنين منهم،

فمن محبة الملائكة لهم دعوا الله، و اجتهدوا في صلاح أحوالهم،

لأن الدعاء للشخص من أدل الدلائل على محبته

لأنه لا يدعو إلا لمن يحبه.

وتضمن ما شرحه الله و فصله من دعائهم بعد قوله:

(وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا)

التنبيه اللطيف على كيفية تدبر كتابه،

و أن لا يكون المتدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده،

بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ،

فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه،

نظر بعقله إلى ذلك الأمر و الطرق الموصلة إليه

و ما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه، و جزم بأن الله أراده،

كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص، الدال عليه اللفظ.

و الـــــذى يوجـــــب له الجـــــزم بأن الله أراده أمـــــران:

الاول:- معرفته و جزمه بأنه من توابع المعنى و المتوقف عليه.

و الثاني: علمه بأن الله بكل شيء عليم،

و أن الله أمر عباده بالتدبر و التفكر في كتابه.

و قد علم تعالى ما يلزم من تلك المعاني.

و هو المخبر بأن كتابه هدى و نور و تبيان لكل شيء،

و أنه أفصح الكلام و أجله إيضاحًا،

فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم و الخير الكثير،

بحسب ما وفقه الله له و قد كان في تفسيرنا هذا، كثير من هذا من به الله علينا.

وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة،

و نسأله تعالى أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببًا لصلاح أحوالنا

و أحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه،

و التوسل بإحسانه، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل الآنات،و في جميع اللحظات،

و نسأله من فضله، أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوق لوصول رحمته، إنه الكريم الوهاب، الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها.

و تضمـــــــــن ذلك:-

أن المقارن من زوج و ولد و صاحب، يسعد بقرينه

و يكون اتصاله به سببًا لخير يحصل له، خارج عن عمله و سبب عمله

كما كانت الملائكة تدعو للمؤمنين و لمن صلح من آبائهم و أزواجهم

و ذرياتهم،

وقد يقال: إنه لا بد من وجود صلاحهم لقوله: -

(وَمَنْ صَلَحَ)

فحينئذ يكون ذلك من نتيجة عملهم و الله أعلم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عن الفضيحة و الخزي الذي يصيب الكافرين، و سؤالهم الرجعة، و الخروج من النار، و امتناع ذلك عليهم و توبيخهم،

مقت الله للكافرين 10-12

فقال:-(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

أطلقـــــــه ليشمل أنواع الكفر كلها، مـــــــن :-

الكفر بالله،أو بكتبه، أو برسله، أو باليوم الآخر، حين يدخلون النار،

و يقرون أنهم مستحقونها، لما فعلوه من الذنوب و الأوزار،

فيمقتون أنفسهم لذلك أشد المقت،

و يغضبون عليها غاية الغضب،

فينادون عند ذلك،

و يقال لهم:-(لَمَقْتُ ٱللَّهِ)

أي: إياكم

(يُنَادَوْنَ)

أي: حين دعتكم الرسل و أتباعهم إلى الإيمان،

و أقاموا لكم من البينات ما تبين به الحق،

فـــــــــــــ:-

1-كفـــــــــرتم

2-و زهدتم في الإيمان الذي خلقكم الله له،

3-و خرجتم من رحمته الواسعة،

فمقتكم و أبغضكم، فهذا (أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ)

أي: فلم يزل هذا المقت مستمرًا عليكم، و السخط من الكريم

حَالا بكم حتى آلت بكم الحال إلى ما آلت،

فاليوم حلَّ عليكم غضب الله و عقابه حين نال المؤمنون رضوان الله و ثوابه.

فتمنوا الرجوع

(يُنَادَوْنَ)

*الميسر:يناديهم خزنة جهنم:-

(لَمَقْتُ ٱللَّهِ)

لكم في الدنيا -حين طلب منكم الإيمان به و اتباع رسله، فأبيتم-

(أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ)

بغضكم

(أَنفُسَكُمْ)

الآن، بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله و عذابه.

و (قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ)

يريدون الموتة الأولى و ما بين النفختين على ما قيل

أو العدم المحض قبل إيجادهم، ثم أماتهم بعدما أوجدهم،

(وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ)

الحياة الدنيا و الحياة الأخرى

***هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الْبَقَرَةِ: 28]

***وَ هَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَ لَا مِرْيَةَ.
***وَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ:-
أَنَّ الْكُفَّارَ يَسْأَلُونَ الرَّجْعَةَ وَ هُمْ وُقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ،
كَمَا قَالَ:{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السَّجْدَة:12]
فَلَا يُجَابُونَ. ثُمَّ إِذَا رَأَوُا النَّارَ وَ عَايَنُوهَا وَ وَقَفُوا عَلَيْهَا، وَ نَظَرُوا إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ و النَّكال،سَأَلُوا الرَّجْعَةَ أَشَدَّ مِمَّا سَأَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَلَا يُجَابُونَ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الْأَنْعَام:27، 28]
فَإِذَا دَخَلُوا النَّارَ وَذَاقُوا مَسّها و حَسِيسها وَ مَقَامِعَهَا وَ أَغْلَالَهَا، كَانَ سؤالهم لِلرَّجْعَةِ أَشَدَّ وَ أَعْظَمَ،
{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فَاطِر:37]
{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ} [الْمُؤْمِنُونَ: 107، 108]
وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَلَطَّفُوا فِي السُّؤَالِ، وَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ كَلَامِهِمْ مُقدّمة، وَ هِيَ قَوْلُهُمْ: {رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ}

أَيْ: قُدْرَتُكَ عَظِيمَةٌ، فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَنَا بَعْدَ مَا كُنَّا أَمْوَاتًا، ثُمَّ أَمَتَّنَا ثُمَّ أَحْيَيْتَنَا، فَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى مَا تَشَاءُ، وَ قَدِ اعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا،

وَ إِنَّنَا كُنَّا ظَالِمِينَ لِأَنْفُسِنَا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، {فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ}

أَيْ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبُنَا إِلَى أَنْ تُعِيدَنَا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا؟

فَإِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ؛لِنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،

فَإِنْ عُدْنَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ فَإِنَّا ظَالِمُونَ.

فَأُجِيبُوا أَلَّا سَبِيلَ إِلَى عَوْدِكُمْ وَ مَرْجِعِكُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ عَلَّلَ الْمَنْعَ مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّ سَجَايَاكُمْ لَا تَقْبَلُ الْحَقَّ وَ لَا تَقْتَضِيهِ

بَلْ تَجْحَده وَ تَنْفِيهِ؛ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

{ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا} أَيْ: أَنْتُمْ هَكَذَا تَكُونُونَ وَإِنْ رُدِدْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا

كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الْأَنْعَامِ: 28] .

(فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ)

*الميسر:فهل لنا من طريق نخرج به من النار،

و تعيدنا به إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟

أي: تحسروا و قالوا ذلك، فلم يفد و لم ينجع،

و وبخوا على عدم فعل أسباب النجاة،

فقيل لهم:-(ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ)

لتوحيده، و إخلاص العمل له، و نهي عن الشرك به

(كَفَرۡتُمۡۖ)

بـــــــه و اشمأزت لذلك قلوبكم و نفرتم غاية النفور.

(وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟)

* الميسر:و إن يُجْعل لله شريك تُصَدِّقوا به و تتبعوه.

أي: هذا الذي أنزلكم هذا المنزل و بوأكم هذا المقيل و المحل،

أنكم تكفرون بالإيمان، و تؤمنون بالكفر،

ترضون بما هو شر و فساد في الدنيا و الآخرة،

و تكرهون ما هو خير و صلاح في الدنيا و الآخرة.

تؤثرون سبب الشقاوة و الذل و الغضب

و تزهدون بما هو سبب الفوز و الفلاح و الظفر

(وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا)

(فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ)

الذي له العـــــلو المطلـــــق من جميـــــع الوجـــــوه-

1-علو الـــــذات،

2-و علو القـــــدر،

3-و علو القهـــــر

و مـــــن علـــــو قـــــدره-

1-كمـــــال عدله تعالى،

2–و أنه يضع الأشياء مواضعها، و لا يساوي بين المتقين و الفجار.

(ٱلۡكَبِيرِ)

الذي له الكبرياء و العظمة و المجد،فـــــــى:–

أسمائه و صفاته و أفعاله المتنزه عن كل آفة و عيب و نقص،

فإذا كان الحكم له تعالى، و قد حكم عليكم بالخلود الدائم،

فحكمه لا يغير و لا يبدل.

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ
إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ
لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ
لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾

(هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا
مَن يُنِيبُ)

من مظاهر قدرة الله 13-15

يذكر تعالى نعمه العظيمة على عباده، بتبيين الحق من الباطل،

بما يُرِي عباده من آياته النفسية و الآفاقية و القرآنية

الدالة على كل مطلوب مقصود،

الموضحة للهدى من الضلال، بحيث لا يبقى عند الناظر فيها

و المتأمل لها أدنى شك في معرفة الحقائق،

و هذا من أكبر نعمه على عباده،

حيث لم يُبْقِ الحق مشتبهًا و لا الصواب ملتبسًا،

بل نوَّع الدلالات و وضح الآيات،

ليهلك من هلك عن بينة، و يحيا من حي عن بينة

و كلما كانت المسائل أجل و أكبر، كانت الدلائل عليها أكثر و أيسر،

فانظر إلى التوحيد لما كانت مسألته من أكبر المسائل،

بل أكبرها، كثرت الأدلة عليها العقلية و النقلية و تنوعت

و ضرب الله لها الأمثال وأكثر لها من الاستدلال،

و لهذا ذكرها في هذا الموضع، و نبه على جملة من أدلتها

فقال: (فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)

و لما ذكر أنه يُرِي عباده آياته، نبه على آية عظيمة فقال:

(وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ)

أي: مطرًا به ترزقون و تعيشون أنتم و بهائمكم،

و ذلك يدل على أن النعم كلها منه،

فمنه نعم الدين، و هي المسائل الدينية و الأدلة عليها،

و ما يتبع ذلك من العمل بها. و النعم الدنيوية كلها،

كالنعم الناشئة عن الغيث، الذي تحيا به البلاد و العباد.

و هذا يدل دلالة قاطعة أنه وحده هو المعبود،

الذي يتعين إخلاص الدين له، كما أنه – وحده– المنعم.

(وَمَا يَتَذَكَّرُ)

بالآيات حين يذكر بها

(إِلَّا مَن يُنِيبُ)

إلى الله تعالى، بـــــــالإقبال على محبته و خشيته و طاعته و التضرع إليه،

فهذا الذي ينتفع بالآيات، و تصير رحمة في حقه، و يزداد بها بصيرة.

❍و لما كانت الآيات تثمر التذكر، و التذكر يوجب الإخلاص للّه،

رتب الأمر على ذلك بالفاء الدالة على السببية

فقال: (فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)

و هـــــــذا شـــــــامـــــل لـــــــ:-

1–دعاء العبـــــــادة

2–و دعاء المســـألة

و الإخــــــــلاص معنـــــــاه:-

تخليص القصد للّه تعالى في جميع العبادات الواجبة و المستحبة،

حقوق الله و حقوق عباده.

أي: أخلصوا للّه تعالى في كل ما تدينونه به و تتقربون به إليه.

(وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ)

لذلك،

فلا تبالوا بهم، و لا يشكم ذلك عن دينكم،

و لا تأخذكم بالله لومة لائم،

فإن الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده غاية الكراهة،

كما قال تعالى:-(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)

***صحيح مسلم

(594)عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ،قَالَ:-كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ،يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ:-

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ

وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،

لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،

وَ لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَ لَهُ الْفَضْلُ، وَ لَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ،

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»

وَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ»

❍ثم ذكر من جلاله و كماله ما يقتضي إخلاص العبادة له

فقال: (رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ)

و ارتفعت درجاته ارتفاعًا باين به مخلوقاته، و ارتفع به قدره،

و جلت أوصافه، و تعالت ذاته،

أن يتقرب إليه إلا بالعمل الزكي الطاهر المطهر،

و هو الإخلاص، الذي يرفع درجات أصحابه و يقربهم إليه

و يجعلهم فوق خلقه،

(ذُو ٱلۡعَرۡشِ)

أي: العلي الأعلى، الذي استوى على العرش و اختص به،

ثم ذكر نعمته على عباده بالرسالة و الوحي،

فقال:-(يُلۡقِي ٱلرُّوحَ)

أي: الوحي الذي للأرواح و القلوب بمنزلة الأرواح للأجساد

فكما أن الجسد بدون الروح لا يحيا و لا يعيش،

فـــــــالروح و القلب بدون روح الوحي لا يصلح و لا يفلح،

فهو تعالى (يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ)

الذي فيه نفع العباد و مصلحتهم.

(عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ)

و هم الرسل الذين فضلهم الله و اختصهم الله لوحيه و دعوة عباده.

***وَ قَوْلُهُ:-{يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}

كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-{يُنزلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ} [النَّحْلِ: 2]

وَ كَقَوْلِهِ:-{وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشُّعَرَاءِ: 192 -194]

و الفائدة في إرســـــال الرســـــل، هـــــو:-

1-تحصيل سعادة العباد في دينهم و دنياهم و آخرتهم،

2-و إزالة الشقاوة عنهم في دينهم و دنياهم و آخرتهم،

و لهذا قال: (لِيُنذِرَ)

من ألقى الله إليه الوحي

(يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ)

أي: يخوف العباد بذلك،

و يحثهم على الاستعداد له بالأسباب المنجية مما يكون فيه.

و سماه (يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ)

لأنه يلتقي فيه الخالق و المخلوق و المخلوقون بعضهم مع بعض

و العاملون و أعمالهم و جزاؤهم15

من أهوال القيامة 16-20

(يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ)

أي: ظاهرون على الأرض، قد اجتمعوا في صعيد واحد لا عوج و لا أمت فيه،

يسمعهم الداعي و ينفذهم البصر.

(لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ)

لا من ذواتهم و لا من أعمالهم، و لا من جزاء تلك الأعمال.

(لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُۖ)

أي:–من هو المالك لذلك

(ٱلْيَوْمَ) ؟

العظيم الجامع للأولين و الآخرين،

أهل السماوات و أهل الأرض، الذي انقطعت فيه الشركة في الملك،

و تقطعت الأسباب، و لم يبق إلا الأعمال الصالحة أو السيئة؟

الملك (لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ)

أي:–المنفرد في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله،

فلا شريك له في شيء منها بوجه من الوجوه.

(ٱلْقَهَّارِ)

لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات و ذلت و خضعت

خصوصًا في ذلك اليوم الذي عنت فيه الوجوه للحي القيوم،

يومئذ لا تَكَلَّمُ نفس إلا بإذنه.

***صحيح مسلم

(2788)عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: -

يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى،

ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟

أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟

ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ،

ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟
أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ "

ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ
﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ
وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ
إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ
مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾
فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ
وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾
ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾
(ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ)

في الدنيا، من خير و شر، قليل و كثير
يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَدْلِهِ فِي حُكْمِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ،أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَ لَا مِنْ شَرٍّ، بَلْ يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، وَ بِالسَّيِّئَةِ وَاحِدَةًصحيح مسلم
(2577)عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:
يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَ جَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا،فَلَا تَظَالَمُوا
يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ،
يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ
يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ،
يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
وَ أَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ،
يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي،
يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا،
يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا،
يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي
إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ،
يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا،
فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَ مَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»
قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ:-

جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ( )

(لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ)

على أحد، بزيادة في سيئاته، أو نقص من حسناته

(إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ)

أي: لا تستبطئوا ذلك اليوم فإنه آت، و كل آت قريب.

و هو أيضا سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة، لإحاطة علمه و كمال قدرته.

***يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ، كَمَا يُحَاسِبُ نَفْسًا وَاحِدَةً،

كَمَا قَالَ:-{مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ}[لُقْمَانَ: 28]

وَ قَالَ تَعَالَى:-{وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}[الْقَمَرِ: 50]

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ
وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ

(إلا كما ينقص المخيط) قال العلماء هذا تقريب إلى الإفهام و معناه لا ينقص شيئا أصلا كما قال في الحديث الآخر لا يغيضها نفقة أي لا ينقصها نفقة لأن ما عند الله لا يدخله نقص و إنما يدخل النقص المحدود الفاني و عطاء الله تعالى من رحمته وكرمه وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة و المقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه فإن البحر من أعظم المرئيات عيانا و أكبرها و الإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء]

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:-

(وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ)

***اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاقْتِرَابِهَا

أي: يوم القيامة التي قد أزفت و قربت،

و آن الوصول إلى أهوالها و قلاقلها و زلازلها،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{أَزِفَتِ الآزِفَةُ. لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} [النَّجْمِ:57، 58]

وَ قَالَ{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [الْقَمَرِ: 1]

وَ قَالَ{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} [الْأَنْبِيَاءِ:1]

وَ قَالَ {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ} [النَّحْلِ:1]

وَ قَالَ{فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ}[الْمُلْكِ:27]

(إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ)

أي: قد ارتفعت و بقيت أفئدتهم هواء،

و وصلت القلوب من الروع و الكرب إلى الحناجر، شاخصة أبصارهم.

(كَٰظِمِينَۚ)

***سَاكِتِينَ

❍لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صوابا

***{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا}[النَّبَأ:38]

❍و كاظمين على ما في قلوبهم من الروع الشديد و المزعجات الهائلة.

(مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٍ)

أي: قريب و لا صاحب،

(وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ)

*الميسر:-يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له.

لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك،

و لو قدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم، فلا يقبلها.

***بَلْ قَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

(يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ)

و هو النظر الذي يخفيه العبد من جليسه و مقارنه، و هو نظر المسارقة،

(وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ)

مما لم يبينه العبد لغيره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي،

فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى و أحرى.

(وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ)

***بالعدل

❍لأن قـــــــوله حق،

و حكمه الشـــرعي حق،

و حكمه الجـــزائي حق

و هو المحيط علمًا و كتابة و حفظا بجميع الأشياء،

و هو المنزه عن الظلم والنقص وسائر العيوب،

و هو الذي يقضي قضاءه القدري، الذي إذا شاء شيئًا كان و ما لم يشأ لم يكن،

و هو الذي يقضي بين عباده المؤمنين و الكافرين في الدنيا،

و يفصل بينهم بفتح ينصر به أولياءه و أحبابه.

(وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ)

❍و هذا شامل لكل ما عبد من دون الله [مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ وَ الْأَنْدَادِ]

(لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍ)

***لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لَا يَحْكُمُونَ بِشَيْءٍ

❍لعجزهم و عدم إرادتهم للخير و استطاعتهم لفعله.

(إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ)

لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

(ٱلۡبَصِيرُ)

بما كان و ما يكون،و ما نبصر و ما لا نبصر، و ما يعلم العباد و ما لا يعلمون.

قال في أول هاتين الآيتين (وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ)

ثم وصفها بهذه الأوصاف المقتضية للاستعداد لذلك اليوم العظيم، لاشتمالها على الترغيب و الترهيب.

۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٢

يقول تعالى:- (أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ) الأمر بالاتعاظ بالامم السابقة 21-22

أي:-بقلوبهم و أبدانهم سير نظر و اعتبار، و تفكر في الآثار

(فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ)

من المكذبين، فسيجدونها شر العواقب، عـــــاقبـــــة:-

الهـــــلاك و الدمـــــار و الخـــــزى و الفضيحـــــة

(كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ)

وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء في الْعَدَد و الْعُدَد و كبر الأجسام.

(و) أشد

(وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

من البناء و الغرس، و قوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها و على تمنعه بها.

*** كما قَالَ:-{وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ} [الْأَحْقَافِ: 26]

وَ قَالَ{وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} [الرُّومِ: 9]
وَ مَعَ هَذِهِ الْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ وَ الْبَأْسِ الشَّدِيدِ :-

(فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ)

بعقوبتـــــــــه

(بِذُنُوبِهِمْ)

حين أصروا و استمروا عليها

***و هِيَ كُفْرُهُمْ بِرُسُلِهِمْ

(وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ)

***وَ مَا دَفَعَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ، وَ لَا رَدَّهُ عَنْهُمْ رَادٌّ، وَ لَا وَقَاهُمْ وَاقٍ.

***ثُمَّ ذَكَرَ عِلَّةَ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ وَ ذُنُوبَهُمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا وَ اجْتَرَمُوهَا،فَقَالَ:-

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟)

***مَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَ الْبُرْهَانِ كَفَرُوا وَ جَحَدُوا

(فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ)

***أَهْلَكَهُمْ و دمَّر عَلَيْهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا،

(إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ)

***عِقَابُهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وَجِيعٌ. أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ.

❍فلم تغن قوتهم عند قوة اللّه شيئًا، بل من أعظم الأمم قوة،

قوم عاد الذين قـــــــالـــــــوا:-

(مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)

أرسل اللّه إليهم ريحا أضعفت قواهم، و دمرتهم كل تدمير.

ثم ذكر نموذجا من أحوال المكذبين بالرسل و هو فرعون و جنوده فقال: –

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾

(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ)

(23 – 46) إلى آخر القصة.

قصة موسى مع فرعون و هامان و قارون 23-27

أي: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا)

إلى جنس هؤلاء المكذبين

(مُوسَىٰ)

ابن عمران

(بِـَٔايَٰتِنَا)

العظيمة، الدالة دلالة قطعية، على حقية ما أرسل به،

و بطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك و ما يتبعه

(وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)

أي: حجة بينة، تتسلط على القلوب فتذعن لها

كالحية و العصا و نحوهما من الآيات البينات،

التي أيد الله بها موسى، و مكنه مما دعا إليه من الحق و المبعوث إليهم

(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ)

***مَلِكُ الْقِبْطِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ،

(وَهَامَانَ)

وزيره

(وَقَارُونَ)

***وَ كَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ مَالًا وَ تِجَارَةً

الذي كان من قوم موسى، فبغى عليهم بماله، و كلهم ردوا عليه أشد الرد

(فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)

*** كَذَّبُوهُ وَ جَعَلُوهُ سَاحِرًا مُمَخْرِقًا مُمَوِّهًا كَذَّابًا فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ.

وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}[الذَّارِيَاتِ 52، 53]

(فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا)

و أيده الله بالمعجزات الباهرة، الموجبة لتمام الإذعان، لم يقابلوها بذلك،

و لم يكفهم مجرد الترك و الإعراض،

بل و لا إنكارها و معارضتها بباطلهم،

بل وصلت بهم الحال الشنيعة إلى أن

(قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ)

***وَ هَذَا أَمْرٌ ثَانٍ مِنْ فِرْعَوْنَ بِقَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

أَمَّـــــــا الْأَوَّلُ:-

فَكَانَ لِأَجْلِ الِاحْتِرَازِ مِنْ وُجُودِ مُوسَى،

الثَّـــــــانِي:-

أَوْ لِإِذْلَالِ هَذَا الشَّعْبِ وَ تَقْلِيلِ عَدَدِهِمْ،

أَوْ لِمَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ.

وَ أَمَّا الْأَمْـــرُ الثَّانِي:-

فَلِلْعِلَّةِ الثَّانِيَةِ، لِإِهَانَةِ هَذَا الشَّعْبِ،

وَ لِكَيْ يَتَشَاءَمُوا بِمُوسَىعليه السلام وَ لِهَذَا قَالُـــوا:-

{أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [الْأَعْرَافِ: 129]

(وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

***الَّذِي هُوَ تَقْلِيلُ عَدَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِئَلَّا يُنصروا عَلَيْهِمْ

○حيث كادوا هذه المكيدة،و زعموا أنهم إذا قتلوا أبناءهم، لم يقووا،

و بقوا في رقهم و تحت عبوديتهم.

فما كيدهم

(إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ)

***ذَاهِبٌ وَ هَالِكٌ

حيث لم يتم لهم ما قصدوا،

بل أصابهم ضد ما قصدوا، أهلكهم الله و أبادهم عن آخرهم.

و تـــــــدبر هذه النكتـــــــة التي يكثر مرورهـــــــا بكتاب الله تعالى:-

إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين،

و أراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم،

و علقه على الوصف العام ليكون أعم،

و تندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها،

و ليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين.

فلهذا لم يقل بل قال: (وما كيدهم إلا في ضلال)

(وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ)

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ
أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم
مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ
مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ
وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ
وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي
مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ
قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩
وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠
مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١
وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ
مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣

(وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ)

متكبرًا متجبرًا مغررًا لقومه السفهاء:-

(ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ)

أي:–زعم – قبحه الله– أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله،

و أنه لا يمنعه من دعاء ربه،

ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله، و أنه نصح لقومه، و إزالة للشر في الأرض

فقال:–(إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ)

الذي أنتم عليه

(أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ)

و هذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق

هذا من التمويه و الترويج الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم:–

(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)

(وَقَالَ مُوسَىٰٓ)

حين قال فرعون تلك المقالة الشنيعة التي أوجبها له طغيانه،

و استعان فيها بقوته و اقتداره،مستعينًا بربه:–

(إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم)

***أيها المخاطبون

أي:–امتنعت بربوبيته التي دبر بها جميع الأمور

(مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ)

***عن الحق مجرم

(لَّا يُؤْمِنُ)

أي:-يحمله تكبره و عدم إيمانه

(بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ)

على الشر و الفساد،

يدخل فيه فرعون وغيره، كما تقدم قريبًا في القاعدة،

فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب،

و قيض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون و ملئه

و من جملة الأسباب:-

(وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ)

هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة،

لا بد أن يكون له كلمة مسموعة،

و خصوصًا إذا كان يظهر موافقتهم و يكتم إيمانه،

فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر،

كما منع الله رسوله محمدًا ﷺبعمه أبي طالب من قريش،

حيث كان أبو طالب كبيرًا عندهم، موافقًا لهم على دينهم،

و لو كان مسلمًا لم يحصل منه ذلك المنع.

*** فَأَخَذَتِ الرَّجُلَ غَضْبَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

مسند أحمد:-

18830 -عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَ قَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: -كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ

❍فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحًا فعل قومه،

و شناعة ما عزموا عليه:-

قصة مؤمن آل فرعون 28-46

(أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا)

أى: كيف تستحلون قتله، و هذا ذنبه و جرمه،

(أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ)

و لم يكن أيضا قولا مجردًا عن البينات،

و لهذا قال:-(وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ)

لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارًا علم به الصغير و الكبير،

أي: فهذا لا يوجب قتله.

فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، و قابلتم البرهان ببرهان يرده،

ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟

فأما و قد ظهرت حجته، و استعلى برهانه،

فبينكم و بين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطي.

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي حالة قدرت،

***تَنزل مَعَهُمْ فِي الْمُخَاطَبَةِ

موسى بين أمرين:-

الاول:-

(وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ)

إما كاذب في دعواه أو صادق فيها،

فإن كان كاذبًا فكذبه عليه، و ضرره مختص به

و ليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته و تصديقه،

الثاني:-

(وَإِن يَكُ صَٰدِقٗا)

و إن كان صادقًا و قد جاءكم بالبينات،

و أخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذابًا في الدنيا و عذابًا في الآخرة،

فإنه لا بد أن (يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ)

و هو عذاب الدنيا.

و هذا من حسن عقله، و لطف دفعه عن موسى

حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم،

و جعل الأمر دائرًا بين تينك الحالتين،

و على كل تقدير فقتله سفه و جهل منكم.

ثم انتقل ﷺو أرضاه و غفر له و رحمه – إلى أمر أعلى من ذلك،

و بيان قرب موسى من الحق

فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ)

أي: متجاوز الحد بترك الحق و الإقبال على الباطل.

(كَذَّابٞ)

بنسبته ما أسرف فيه إلى الله،

فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله و لا في دليله،

و لا يوفق للصراط المستقيم،

أي: و قد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق

و ما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية و الخوارق السماوية،

فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفًا و لا كذابا

و هذا دليل على كمال علمه و عقله و معرفته بربه.

ثم حذر قومه و نصحهم، و خوفهم عذاب الآخرة، و نهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر،

فقال:-(يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ)

أي: في الدنيا

(ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

على رعيتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير،

فهبكم حصل لكم ذلك و تم، و لن يتم،

(فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ)

أي:- عـــــــــذابه

(إِن جَآءَنَاۚ)؟

و هذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركًا بينه و بينهم بقوله:-

(فَمَن يَنصُرُنَا)

و قوله: (إِن جَآءَنَاۚ)

ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، و يرضى لهم ما يرضى لنفسه.

فـــــــــ(قَالَ فِرۡعَوۡنُ)

معارضًا له في ذلك، و مغررًا لقومه أن يتبعوا موسى:

(مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ)

***مَا أَقُولُ لَكُمْ وَ أُشِيرُ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَاهُ لِنَفْسِي وَ قَدْ كَذَبَ فِرْعَوْنُ، فَإِنَّهُ كَانَ يَتَحَقَّقُ صِدْقَ مُوسَى فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ

{قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزلَ هَؤُلاءِ إِلا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ}

[الْإِسْرَاءِ:102]

وَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النَّمْلِ: 14]

(وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)

***وَ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَّا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَ الصِّدْقِ وَ الرُّشْدِ

وَ قَدْ كَذَبَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ قَوْمُهُ قَدْ أَطَاعُوهُ وَاتَّبَعُوهُ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} [هُودٍ: 97]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى} [طَهَ: 79]

وَ فِي الْحَدِيثِ الذى فى صحيح البخاري

7150 -عَنِ الحَسَنِ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ،عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ

فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:-

«مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً،

فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»

❍و صدق في قوله:-(مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ)

و لكن ما الذي رأى؟

رأى أن يستخف قومه فيتابعوه، ليقيم بهم رياسته، و لم ير الحق معه،

بل رأى الحق مع موسى، و جحد به مستيقنًا له.

و كذب في قوله: (وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)

فإن هذا قلب للحق،

فلو أمرهم باتباعه اتباعًا مجردًا على كفره و ضلاله، لكان الشر أهون،

و لكنه أمرهم باتباعه،

و زعم أن في اتباعه اتباع الحق و في اتباع الحق، اتباع الضلال.

(وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ)

مكررًا دعوة قومه غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى، لا يزالون يدعون إلى ربهم،

و لا يردهم عن ذلك راد،و لا يثنيهم عتو من دعوه عن تكرار الدعوة

فقال لهم:-(يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ)

يعرى الأمم المكذبين، الذين تحزبوا على أنبيائهم، و اجتمعوا على معارضتهم، ثم بينهم فقال:-

(مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ)

أي: مثل عادتهم في الكفر و التكذيب

و عادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة

(وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ)

فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه، و لا جرم أسلفوه.

❍و لما خوفهم العقوبات الدنيوية، خوفهم العقوبات الأخروية فقال:-

(وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ)

أي: يوم القيامة، حين ينادي أهل الجنة أهل النار:-

(أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا) [الاعراف:44]إلى آخر الآيات.

(وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ)[الاعراف:50]

و حين ينادي أهل النار

(مالكًا لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)

فيقول:(إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)

و حين ينادون ربهم:(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ)

فيجيبهم: (اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ)

و حين يقال للمشركين: (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ)

فخوفهم ﷻهذا اليوم المهول،

و توجع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك

و لهذا قال: (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ)

***ذاهبين هاربين

❍أي: قد ذهب بكم إلى النار

***{كَلا لَا وَزَرَ* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ}[الْقِيَامَةِ:11، 12]

(مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٍۖ)

*الميسر:من مانع يمنعكم و ناصر ينصركم

❍لا من أنفسكم قوة تدفعون بها عذاب الله، و لا ينصركم من دونه من أحد

(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ)

(وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ)

لأن الهدى بيد الله تعالى،

فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به، لخبثه، فلا سبيل إلى هدايته.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۗ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ
مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ
﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ
ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

(وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ)

بن يعقوب عليهما السلام

(مِن قَبْلُ)

إتيان موسى

(بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

الدالة على صدقه،

و أمركم بعبادة ربكم وحده لا شريك له،

***فَمَا أَطَاعُوهُ تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَّا لِمُجَرَّدِ الْوِزَارَةِ وَ الْجَاهِ الدُّنْيَوِيِّ؛وَ لِهَذَا قَالَ:-

(فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ)

في حياته

(حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ)

*مات (ازداد شككم و شرككم)

***يَئِسْتُمْ فَقُلْتُمْ طَامِعِينَ

(قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا)

أي: هذا ظنكم الباطل، و حسبانكم الذي لا يليق بالله تعالى،

فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى، لا يأمرهم و ينهاهم،

و يرسل إليهم رسله، و ظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال،

و لهذا قال:-(كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ)

و هذا هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا به موسى ظلمًا و علوا،

فهم المسرفون بتجاوزهم الحق و عدولهم عنه إلى الضلال،

و هم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله، و كذبوا رسوله.

فالذي وصفه السرف و الكذب، لا ينفك عنهما، لا يهديه الله، و لا يوفقه للخير، لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه وعرفه،

فجزاؤه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدى، كما قال تعالى:-

(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

(مُّرْتَابٌ)

***ارتياب قلبه

*الميسر:شاكٌّ في وحدانية الله تعالى،

❍ثم ذكر وصف المسرف الكذاب فقال:-(ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)

التي بينت الحق من الباطل،

و صارت – من ظهورها– بمنزلة الشمس للبصر،

فهم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها و يبطلوها

(بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ)

أي: بغير حجة و برهان،

و هذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله

فإنه من المحال أن يجادل بسلطان،

لأن الحق لا يعارضه معارض

فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلا

(كَبُرَ)

ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل

(مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟)

فالله أشد بغضًا لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق و التصديق بالباطل و نسبته إليه،

و هذه أمور يشتد بغض الله لها و لمن اتصف بها،

و كذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم،

و هؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه،

***وَ الْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا يُبغضُون مَنْ تَكُونُ هَذِهِ صِفَتَهُ

فَإِنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ،

وَ لِهَذَا قَالَ:-

(كَذَٰلِكَ)

أي: كما طبع على قلوب آل فرعون

(يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ)

يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ،

فَلَا يَعْرِفُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْرُوفًا، وَ لَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا

(مُتَكَبِّرٍ)

في نفسه على الحق برده و على الخلق باحتقارهم،

(جَبَّارٍ)

بكثرة ظلمه و عدوانه.

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ)

معارضًا لموسى و مكذبًا له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين،

الذي على العرش استوى، و على الخلق اعتلى:-(يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا)

أي: بناء عظيمًا مرتفعًا

***الْقَصْرُ الْعَالِي الْمُنِيفُ الشَّاهِقُ.

وَ كَانَ اتِّخَاذُهُ مِنَ الْآجُرِّ الْمَضْرُوبِ مِنَ الطِّينِ الْمَشْوِيِّ، كَمَا قال:-

{فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا}[الْقَصَصِ: 38]

(لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ)

***أَبْوَابَ السموات.

***و قيل:-طرق السَّمَوَاتِ

و القصد منه لعلي

(فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا)

في دعواه أن لنا ربًا، و أنه فوق السماوات.

و لكنه يريد أن يحتاط فرعون، و يختبر الأمر بنفسه،

قال الله تعالى في بيان الذي حمله على هذا القول:-

(وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ)

فزين له العمل السيئ، فلم يزل الشيطان يزينه

و هو يدعو إليه و يحسنه،

حتى رآه حسنًا و دعا إليه و ناظر مناظرة المحقين،و هو من أعظم المفسدين،

(وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ)

الحق، بسبب الباطل الذي زين له

(وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ)

الذي أراد أن يكيد به الحق، و يوهم به الناس أنه محق، و أن موسى مبطل

(إِلَّا فِي تَبَابٖ)

أي: خسار و بوار، لا يفيده إلا الشقاء في الدنيا و الآخرة.

(وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ)

معيدًا نصيحته لقومه:-

(يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)

لا كما يقول لكم فرعون، فإنه لا يهديكم إلا طريق الغي و الفساد.

(يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ)

يتمتع بها و يتنعم قليلا ثم تنقطع و تضمحل،

فلا تغرنكم و تخدعنكم عما خلقتم له

(وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ)

التي هي محل الإقامة، و منزل السكون و الاستقرار،

فينبغي لكم أن تؤثروها، و تعملوا لها عملا يسعدكم فيها.

(مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً)

من شرك أو فسوق أو عصيان

(فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا)

أي: لا يجازى إلا بما يسوؤه و يحزنه لأن جزاء السيئة السوء.

(وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ)

من أعمال القلوب و الجوارح، و أقوال اللسان

(وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

*الميسر:بالله موحد له

(فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)

أي: يعطون أجرهم بلا حد و لا عد، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم.

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾
تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ
إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾
فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ
بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ
ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ
أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ
فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا
فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ
إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ
لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾
(وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ)

بما قلت لكم

(وَتَدۡعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ)

بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام.

تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ
إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣
فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ
بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ
سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ
وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦

ثم فسر ذلك فقال:(تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ)

أنه يستحق أن يعبد من دون الله،

و القول على الله بلا علم من أكبر الذنوب و أقبحها،

(وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ)

الذي له القوة كلها، و غيره ليس بيده من الأمر شيء

(ٱلْغَفَّارِ)

الذي يسرف العباد على أنفسهم و يتجرؤون على مساخطه

ثم إذا تابوا و أنابوا إليه، كفر عنهم السيئات و الذنوب،

و دفع موجباتها من العقوبات الدنيوية و الأخروية.

(لَا جَرَمَ)

أي:–حقًا يقينًا

(أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ)

*الميسر:-أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به

(لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ)

أي: لا يستحق من الدعوة إليه، و الحث على اللجأ إليه،

(فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ)

لعجزه و نقصه،و أنه لا يملك نفعًا و لا ضرًا و لا موتًا و لا حياة، و لا نشورًا.

(وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ)

تعالى فسيجازي كل عامل بعمله.

(وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ)

و هم الذين أسرفوا على أنفسهم بـ:-

1–التجرؤ على ربهم بمعاصيه

2–و الكفـــــــــر به، دون غيرهم.

(هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ)

فلما نصحهم و حذَّرهم و أنذرهم و لم يطيعوه و لا وافقوه قال لهم:

(فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ)

من هذه النصيحة، و سترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب،

و تحرمون جزيل الثواب.

(وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ)

أي: ألجأ إليه و أعتصم، و ألقي أموري كلها لديه،

و أتوكل عليه في مصالحي و دفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم.

(إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ)

يعلم أحوالهم و ما يستحقون،

يعلم حالي و ضعفي فيمنعني منكم و يكفيني شركم،

و يعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته و مشيئته

فإن سلطكم عليَّ، فبحكمة منه تعالى، و عن إرادته و مشيئته صدر ذلك.

(فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ)

أي: وقى الله القويّ الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق،

عقوبات ما مكر فرعون و آله له، مـــــــــن :–

إرادة إهلاكـــــــه و إتلافـــــــه،

لأنه بادأهم بما يكرهون، و أظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام

و دعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى،

و هذا أمر لا يحتملونه و هم الذين لهم القدرة إذ ذاك،

و قد أغضبهم و اشتد حنقهم عليه،

فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم و مكرهم

و انقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم

(وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ)

أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم.

و في البـــــــرزخ :-

(ٱلنَّارُ)

*الميسر:-ثم يُعذّبون في قبورهم حيث النار،

(يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا)

صباحًا

(وَعَشِيًّا ۖ)

و مساء إلى وقت الحساب

(وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ)

*الميسر:يقال: أدخلوا آل فرعون

(أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ)

النار

***جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء**

و هذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر.

❍فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسل الله، المعاندين لأمره.

وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ
﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ
ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار،و عتاب بعضهم بعضًا

و استغاثتهم بخزنة النار، و عدم الفائدة في ذلك

فقال:-(وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ)

يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، و يتبرأ المتبوعون من التابعين

حوار بين الضالين و المضلين و أهل النار و خزنتها 47-50

(فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟)

أي: الأتباع للقادة

(لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟)

على الحق، و دعوهم إلى ما استكبروا لأجله.

(إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا)

أنتم أغويتمونا و أضللتمونا و زينتم لنا الشرك و الشر

(فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ)

أي: و لو قليلا.

(قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ)

مبينين لعجزهم و نفوذ الحكم الإلهي في الجميع:-

(إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ)

*الميسر: لا نتحمل عنكم شيئًا من عذاب النار، و كلّنا فيها، لا خلاصَ لنا منها،

(إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ)

و جعل لكل قسطه من العذاب،

فلا يزاد في ذلك و لا ينقص منه، و لا يغير ما حكم به الحكيم.

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ)

من المستكبرين و الضعفاء

(لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ)

لعله تحصل بعض الراحة.

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ
وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٥٠ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا
بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٤
فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ
أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ

وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٥٠

***لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، لَا يَسْتَجِيبُ مِنْهُمْ وَ لَا يَسْتَمِعُ لِدُعَائِهِمْ، بَلْ قَدْ قال: {اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ} [الْمُؤْمِنُونَ:108]
سَأَلُوا الْخَزَنَةَ -وَ هُمْ كَالْبَوَّابِينَ لِأَهْلِ النَّارِ-أَنْ يَدْعُوا لَهُمُ اللَّهَ أَنْ يُخَفِّفَ عَنِ الْكَافِرِينَ وَ لَوْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الْعَذَابِ،

ف ـــــــ(قَالُوٓاْ)

لهم موبخين و مبينين أن شفاعتهم لا تنفعهم، و دعاءهم لا يفيدهم شيئًا:-

(أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ)

التي تبينتم بها الحق و الصراط المستقيم، و ما يقرب من الله و ما يبعد منه؟

قد جاءونا بالبينات،

و قامت علينا حجة الله البالغة فظلمنا و عاندنا الحق بعد ما تبين.

(قَالُواْ)

أي: الخزنة لأهل النار، متبرئين من الدعاء لهم و الشفاعة:-

(فَٱدۡعُواْۗ)

أنتم و لكن هذا الدعاء هل يغني شيئا أم لا؟

قال تعالى: (وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ)

أي: باطل لا غ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صادّ لإجابة الدعاء.

***لَا يُتَقَبَّلُ وَ لَا يستجاب.

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾

يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾

لما ذكر عقوبة آل فرعون في الدنيا، و البرزخ، و يوم القيامة،

و ذكر حالة أهل النار الفظيعة، الذين نابذوا رسله و حاربوهم،

قال:- (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)

أي: بالحجة و البرهان و النصر، في الآخرة بالحكم لهم

و لأتباعهم بالثواب،

و لمن حاربهم بشدة العقاب

***قَدْ أَوْرَدَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:-

{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} سُؤَالًا فَقَالَ: -

قَدْ عُلِم أَنَّ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ،قَتَلَهُ قَوْمُهُ بِالْكُلِّيَّةِ

كَيَحْيَى وَ زَكَرِيَّا وَ شَعْيَاءَ،

وَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِمَّا مُهَاجِرًا كَإِبْرَاهِيمَ

وَ إِمَّا إِلَى السَّمَاءِ كَعِيسَى فَأَيْنَ النُّصْرَةُ فِي الدُّنْيَا؟

ثُمَّ أَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِجَوَابَيْنِ :-

أَحَدُهُمَا:-

أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ خَرَجَ عَامًّا، وَ الْمُرَادُ بِهِ الْبَعْضُ،قَالَ: وَ هَذَا سَائِغٌ فِي اللُّغَةِ.

الثَّانِي:-

أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالنَّصْرِ الِانْتِصَارُ لَهُمْ مِمَّنْ آذَاهُمْ،

وَ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِحَضْرَتِهِمْ أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ

(وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ)

***الْمَلَائِكَةُ

***يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ النُّصْرَةُ أَعْظَمَ وَ أَكْبَرَ وَ أَجَلَّ.

(يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ)

***و هم المشركون

(مَعْذِرَتُهُمْ)

حين يعتذرون

***لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عُذْرٌ وَ لَا فِدْيَةٌ

(وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ)

أي: الدار السيئة التي تسوء نازليها.

***وَ هِيَ النَّارُ.قَالَهُ السُّدِّيُّ، بِئْسَ الْمَنْزِلُ وَ الْمَقِيلُ.

***سُوءُ الْعَاقِبَةِ.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾

هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ

وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى)

لما ذكر ما جرى لموسى و فرعون، و ما آل إليه أمر فرعون و جنوده

ثم ذكر الحكم العام الشامل له و لأهل النار،

ذكر أنه أعطى موسى (ٱلْهُدَىٰ)

أي: الآيات، و العلم الذي يهتدي به المهتدون.

(وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ)

أي: جعلناه متوارثًا بينهم، من قرن إلى آخر، و هو التوراة،

و ذلك الكتاب مشتمل على الهـــ(هُدًى):-

هو العلـــــــم بالأحكـــــــام الشرعيـــــــة و غيرها،

(وَذِكْرَىٰ)

أى:التذكر للخير بالترغيب فيه، و عن الشر بالترهيب عنه،

و ليس ذلك لكل أحد،

و إنما هو (لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ)

***الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ السَّلِيمَةُ.

(فَٱصْبِرْ)

يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أولي العزم المرسلين.

(إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ)

أي: ليس مشكوكًا فيه، أو فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر،

و إنما هو الحق المحض، و الهدى الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون،

و يجتهد في التمسك به أهل البصائر.

***وَعَدْنَاكَ أَنَّا سَنُعْلِي كَلِمَتَكَ، وَ نَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَكَ وَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ، وَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ. وَ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَ لَا شَكَّ.

فقوله:-(إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ)

من الأسباب التي تحث على الصبر على طاعة الله و عن ما يكره الله.

(وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ)

المـــــــانع لك من تحصيل فوزك و سعادتك،

فـــــأمره بـــــــــــــــ:-

1-الصبــــــــــــــر الذي فيه يحصل المحبوب،

2-و بالاستغفـــــــار الذي فيه دفع المحـــــذور

(وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ)

و بالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصًا

(بِٱلۡعَشِيِّ)

***فِي أَوَاخِرِ النَّهَارِ وَ أَوَائِلِ اللَّيْلِ(العصر)(ليس المراد وقت العشاء)

(وَٱلۡإِبۡكَٰرِ)

***وَ هِيَ أَوَائِلُ النَّهَارِ وَ أَوَاخِرُ اللَّيْلِ.

اللذين هما أفضل الأوقات،و فيهما من الأوراد و الوظائف الواجبة و المستحبة ما فيهما، لأن في ذلك عونًا على جميع الأمور.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ
إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)

يخبر تعالى أن من جادل في آياته ليبطلها بالباطل،

الكبر و عاقبته 56-76

(بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ)

بينة من أمره و لا حجة

(أَتَىٰهُمۡ إِن)

***مَا

(فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ)

عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَ احْتِقَارٌ لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِ،
وَ لَيْسَ مَا يَرُومُونَهُ مِنْ إِخْمَالِ الْحَقِّ وَ إِعْلَاءِ الْبَاطِلِ بِحَاصِلٍ لَهُمْ،
بَلِ الْحَقُّ هُوَ الْمَرْفُوعُ، وَ قَوْلُهُمْ وَ قَصْدُهُمْ هُوَ الْمَوْضُوعُ

إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق و على من جاء به،

يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل،

فهذا قصدهم و مرادهم. و لكن هذا لا يتم لهم

(مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ)

و ليسوا ببالغيه،

فهذا نص صريح، و بشارة، بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب،

و كل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل.

(فَٱسْتَعِذْ)

أي: اعتصـــــــم و الجـــــأ

(بِٱللَّهِ)

و لم يذكر ما يستعيذ، إرادة للعموم

أي:-استعـــــــذ بالله مـــــــن:-

الكبـــــــر الذي يوجب التكبر على الحق

و استعـــــــــذ بالله مـــــــن:-

شياطين الإنس و الجن،

و استعـــــــــذ بالله مـــــــن:-

جميـــــــع الشـــــــرور.

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ)

لجميع الأصوات على اختلافها،

(ٱلْبَصِيرُ)

بجميع المرئيات، بأي محل و موضع و زمان كانت.

لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

يخبر تعالى بما تقرر في العقول

(لَخَلْقُ)

أن خلق

(ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)

على عظمهما و سعتهما– أعظم و (أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ)

فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات و الأرض من أصغر ما يكون

فالذي خلق الأجرام العظيمة و أتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى و أحرى.

و هذا أحد الأدلة العقلية الدالة على البعث، دلالة قاطعة،

بمجرد نظر العاقل إليها، يستدل بها استدلالا لا يقبل الشك

و الشبهة بوقوع ما أخبرت به الرسل من البعث.

و ليس كل أحد يجعل فكره لذلك، و يقبل بتدبره،

و لهذا قال: (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

و لذلك لا يعتبرون بذلك، و لا يجعلونه منهم على بـــــــال.

ثم قال تعالى:-

(وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ)

أي: كما لا يستوي الأعمى و البصير

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

كذلك لا يستوي من آمن بالله و عمل الصالحات

(وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ)

و كذلك لا يستوى من كان مستكبرًا على عبادة ربه، مقدمًا على معاصيه، ساعيًا في مساخطه،

(قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ)

أي:-تذكركـــــــم قليـــــــل

و إلا فلو تذكرتم مراتب الأمور،

و منـــــــازل الخيـــــــر و الشـــــــر

و الفرق بين الأبـــــــرار و الفجـــــــار

و كانـــــــت لكـــــــم همـــــــة عليه

لآثـــــــرتـــــــم:-

النـــــــافع على الضـــــــار،

و الهـــــدى على الضـــــــلال،

و السعادة الدائمة على الدنيا الفانية.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ

وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ

لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ

فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾

ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ

فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ

فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

(إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ)

***لكائنة واقعة

(لَّا رَيۡبَ فِيهَا)

قد أخبرت بها الرسل الذين هم أصدق الخلق و نطقت بها الكتب السماوية،

التي جميع أخبارها أعلى مراتب الصدق،

و قامت عليها الشواهد المرئية، و الآيات الأفقية.

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ)

***لا يصدقون بها بـــــل يكذبون بها

❍مع هذه الأمور، التي توجب كمال التصديق، و الإذعان.

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي

سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ)

هذا من لطفه بعباده، و نعمته العظيمة،

حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم و دنياهم،

و أمـــــرهـــــم بدعــــــائه:-

1-دعاء العبـــــادة

2-و دعاء المســـــألة

و وعدهم أن يستجيب لهم، و توعد من استكبر عنها فقال:-

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب و الإهانة، جزاء على استكبارهم.

***هَذَا مِنْ فَضْلِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَ كَرَمِهِ أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ وَ تَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ،

كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ:-

يَا مَنْ أحبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ

وَ يَا مَنْ أَبْغَضُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَ لَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَبِّ.

***وَ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ:-

اللهُ يَغْضبُ إِنْ تركْتَ سُؤَالهُ ... وَ بُنيُّ آدمَ حِينَ يُسألُ يَغْضَبُ

*** سنن أبي داود

479 -عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ {قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60]

*** مسند أحمد ط الرسالة

6677 عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:-

يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ،

يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ،

حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ،

يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ،

يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ

ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ

إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾
كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ
فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

تدبر هذه الآيات الكريمات، الدالة على سعة رحمة الله تعالى و جزيل فضله،
و وجوب شكره، و كمال قدرته، و عظيم سلطانه، و سعة ملكه،
و عموم خلقه لجميع الأشياء، و كمال حياته،
و اتصافه بالحمد على كل ما اتصف به من الصفات الكاملة،
و ما فعله من الأفعال الحسنة، و تمام ربوبيته، و انفراده فيها،
و أن جميع التدبير في العالم العلوي و السفلي في ماضي الأوقات و حاضرها و مستقبلها بيد الله تعالى،
ليس لأحد من الأمر شيء، و لا من القدرة شيء،

فينتـــــج مـــــن ذلـــــك:-

1-أنه تعالى المألوه المعبود وحده، الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئًا،

كما لم يستحق من الربوبية شيئًا،

2-امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى و محبته و خـــــوفه و رجـــــائه،

و هذان الأمـــــران – و هما معرفتـــــه و عبـــــادته- :-

هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما،

و هما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده،

و هما الموصلان إلى كل خير و فلاح و صلاح، و سعادة دنيوية و أخروية،

و هما اللذان هما أشرف عطايا الكريم لعباده،

و هما أشرف اللذات على الإطلاق،

و هما اللذان إن فاتا، فات كل خير، و حضر كل شر.

فنسأله تعالى أن يملأ قلوبنا بمعرفته و محبته،

و أن يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة، خالصة لوجهه، تابعة لأمره،

إنه لا يتعاظمه سؤال، و لا يحفيه نوال.

فقوله تعالى:-(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ)

أي: لأجلكم جعل الله الليل مظلمًا،

(لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ)

من حركاتكم، التي لو استمرت لضرت، فتأوون إلى فرشكم،

و يلقي الله عليكم النوم الذي يستريح به القلب و البدن،

و هو من ضروريات الآدمي لا يعيش بدونه،

و يسكن أيضًا، كل حبيب إلى حبيبه، و يجتمع الفكر، و تقل الشواغل.

(و) جعل تعالى (وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ)

***مضيئا

❍منيرًا بالشمس المستمرة في الفلك،

فتقومون من فرشكم إلى أشغالكم الدينية و الدنيوية،

هذا لذكره و قراءته،

و هذا لصلاته،

و هذا لطلبه العلم و دراسته،

و هذا لبيعه و شرائه،

و هذا لبنائه أو حدادته، أو نحوها من الصناعات،

و هذا لسفره برًا و بحرًا،

و هذا لفلاحته،

و هذا لتصليح حيواناته.

(إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ)

أي: عظيم، كما يدل عليه التنكير

(عَلَى ٱلنَّاسِ)

حيث أنعم عليهم بهذه النعم و غيرها، و صرف عنهم النقم،

و هذا يوجب عليهم، تمام شكره و ذكره

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ)

بسبب جهلهم و ظلمهم.

(وَقَلِيلٌ مِنۡ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) الـــــــذين :-

1-يقـــــــــرون بنعمة ربهم،

2-و يخضعـــــــون للّه،

3-و يحبـــــــــونه،

4-و يصرفونهـــــا في طاعة مولاهم و رضـــــــــاه.

(ذَٰلِكُمُ)

الذي فعل ما فعل

(ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ)

أي: المنفرد بالإلهية، و المنفرد بالربوبية،

لأن انفراده بهذه النعم، من ربوبيته، و إيجابها للشكر، من ألوهيته،

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ)

تقرير أنه المستحق للعبادة وحده، لا شريك له،

(خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ)

تقرير لربوبيته.

ثم صرح بالأمر بعبادته فقال: -

(فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ)

أي: كيف تصرفون عن عبادته، وحده لا شريك له، بعد ما أبان لكم الدليل، و أنار لكم السبيل؟

(كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ)

أي: عقوبـــــــة على:-

1-جحدهم لآيات الله،

2-و تعديهم على رسله،

صُرِفُـــــوا عن التوحيـــــــد و الإخـــــــلاص، كما قال تعالى:-

(وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)

***كَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، كَذَلِكَ أُفِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَعَبَدُوا غَيْرَهُ بِلَا دَلِيلٍ وَ لَا بُرْهَانٍ بَلْ بِمُجَرَّدِ الْجَهْلِ وَ الْهَوَى، وَ جَحَدُوا حُجَجَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ.

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا)

أي: قارة ساكنة، مهيأة لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها و غرسها و البناء عليها، و السفر، و الإقامة فيها.

(وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً)

سقفًا للأرض، التي أنتم فيها،

قد جعل الله فيها ما تنتفعون به من الأنوار و العلامات،

التي يهتدى بها في ظلمات البر و البحر

(وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)

***فَخَلَقَكُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ،وَ مَنَحَكُمْ أَكْمَلَ الصُّوَرِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ،

❍فليس في جنس الحيوانات، أحسن صورة من بني آدم، كما قال تعالى:–

(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

وإذا أردت أن تعرف حسن الآدمي و كمال حكمة الله تعالى فيه،

فانظر إليه، عضوًا عضوًا،

هل تجد عضوًا من أعضائه، يليق به،

و يصلح أن يكون في غير محله؟

و انظر أيضًا، إلى الميل الذي في القلوب، بعضهم لبعض،

هل تجد ذلك في غير الآدمين؟

و انظر إلى ما خصه الله به من العقل والإيمان، و المحبة و المعرفة

التي هي أحسن الأخلاق المناسبة لأجمل الصور.

(وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ)

و هـــــذا شـــــامل لكــــــل طيــــــب مـــــــن–

مأكل، و مشرب، و منكح، و ملبس، و منظر، و مسمع، و غير ذلك

من الطيبات التي يسرها الله لعباده،

و يسر لهم أسبابها،

و منعهم من الخبائث، التي تضادها، و تضر أبدانهم، و قلوبهم، و أديانهم،

(ذَٰلِكُمُ)

الذي دبر الأمور، و أنعم عليكم بهذه النعم

(ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ)

أي: تعاظم، و كثر خيره و إحسانه

(رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

المربي جميع العالمين بنعمه.

(هُوَ ٱلْحَىُّ)

الذي له الحياة الكاملة التامة،

المستلزمة لما تستلزمه من صفاته الذاتية التي لا تتم حياته إلا بها، كـــــــ:-

السمع، و البصر، و القدرة، و العلم، و الكلام،و غير ذلك، مـــــــن:-

صفــــــــات كماله، و نعـــــــوت جلاله.

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)

أي: لا معبـــــــود بحـــــــــق، إلا وجهه الكريم.

***لَا نَظِيرَ لَهُ وَ لَا عَدِيلَ لَهُ،

(فَٱدْعُوهُ)

و هـــــــذا شــــــامل لـــــــــ:-

1-دعاء العبـــــادة

2-و دعاء المســـألة

(مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ)

أي: اقصدوا بكل عبادة و دعاء و عمل، وجه الله تعالى،

فإن الإخلاص، هو المأمور به كما قال تعالى:-

(وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)

(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

أي: جميع المحامد و المدائح و الثناء،

بالقـــــــول :-

كـــــــنطق الخلق بذكـــــــــره،

و الفعـــــــل:-

كـــــــعبادتهم لـــــــــه،

كـــــــل ذلك للّه تعالى وحـــــــده لا شريك له لـــــــــ:-

كماله في أوصـــــــــافه و أفعـــــــاله، و تمـــــــام نعمه.

۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٦

لما ذكر الأمر بإخلاص العبادة للّه وحده،

و ذكر الأدلة على ذلك و البينات، صرح بالنهي عن عبادة ما سواه فقال:-

(قُلْ)

يا أيها النبي

(إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

من الأوثان و الأصنام، و كل ما عبد من دون الله.

و لست على شك من أمري، بل على يقين و بصيرة،

و لهذا قال:-(لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

بقلبي و لساني، و جوارحي،

بحيث تكون منقادة لطاعته، مستسلمة لأمره،

و هذا أعظم مأمور به، على الإطلاق،

كما أن النهي عن عبادة ما سواه، أعظم مَنْهِيٍّ عنه، على الإطلاق.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا
ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ
وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦٧ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ
فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ
رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِىٓ أَعۡنَاقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ
٧١ فِى ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ
تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ
كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ
وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ
فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ
فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا

ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦٧ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨

ثم قرر هذا التوحيد، بأنه الخالق لكم و المطور لخلقتكم،

فكما خلقكم وحده،فاعبدوه وحده فقال:-(هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ)

و ذلك بخلقه لأصلكم و أبيكم آدم عليه السلام

(ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ)

و هذا ابتداء خلق سائر النوع الإنساني، ما دام في بطن أمه، فنبه بالابتداء، على بقية الأطوار

(ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ)

من العلقة، فالمضغة، فالعظام، فنفخ الروح

(ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا)

ثم هكذا تنتقلون في الخلقة الإلهية حتى تبلغوا أشدكم من قوة العقل و البدن، و جميع قواه الظاهرة و الباطنة

(ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ)

(ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ)

بلوغ الأشد

(وَلِتَبْلُغُوٓاْ)

بهذه الأطوار المقدرة

(أَجَلًا مُّسَمًّى)

تنتهي عنده أعماركم

(وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

أحوالكم،

فتعلمون أن المطور لكم في هذه الأطوار كامل الاقتدار،

و أنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له، و أنكم ناقصون من كل وجه.

(هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ)

أي هو المنفرد بالإحياء و الإماتة،

فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب، إلا بإذنه.

(وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

(فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا)

جليلا أو حقيرًا

(فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)

لا رد في ذلك، و لا مثنوية، و لا تمنع.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ
فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا
بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾
ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)

الواضحة البينة متعجبًا من حالهم الشنيعة

(أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ)

أى:–كيف ينعدلون عنها؟

و إلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟

هل يجدون آيات بينات تعارض آيات الله؟

لا و الله. أم يجدون شبهًا توافق أهواءهم، و يصولون بها لأجل باطلهم؟

(ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ)

***من الهدى و البينات

❍فبئس ما استبدلوا و اختاروا لأنفسهم، بتكذيبهم بالكتاب،
الذي جاءهم من الله، وبما أرسل الله به رسله،
الذين هم خير الخلق و أصدقهم، و أعظمهم عقولا
فهؤلاء لا جزاء لهم سوى النار الحامية،

و لهذا توعدهم الله بعذابها فقال: –(فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)
***كَمَا قَالَ تَعَالَى:-{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [الْمُرْسَلَاتِ: 15]

(إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ)
التي لا يستطيعون معها حركة

(وَٱلسَّلَٰسِلُ)
التي يقرنون بها، هم و شياطينهم
***مُتَّصِلَةٌ بِالْأَغْلَالِ، بِأَيْدِي الزَّبَانِيَةِ

(يُسْحَبُونَ)
***يَسْحَبُونَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ

(فِي ٱلْحَمِيمِ)
أي: الماء الذي اشتد غليانه و حره.
***تَارَةً إِلَى الْحَمِيمِ

(ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ)
***تَارَةً إِلَى الْجَحِيمِ

يوقد عليهم اللهب العظيم، فيصلون بها، ثم يوبخون على شركهم و كذبهم.

كما قال:{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرَّحْمَنِ: 43، 44]

وَ قَالَ بَعْدَ ذكْره أَكْلَهُمُ الزَّقُّومَ وَ شُرْبَهُمُ الْحَمِيمَ:

{ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ} [الصَّافَّاتِ:68]

وَ قَالَ{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ. وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ} إِلَى أَنْ قَالَ:

{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ. فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هَذَا نزلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} [الْوَاقِعَةِ: 41 -56]

وَ قَالَ {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ* طَعَامُ الأَثِيمِ* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ* كَغَلْيِ الْحَمِيمِ* خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ* ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ* ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ*إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ}[الدُّخَانِ: 43 -50]

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

هل نفعوكم، أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟

﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾

أي: غابوا و لم يحضروا، و لو حضروا، لم ينفعوا،

ثم إنهم أنكروا فقالوا:- (بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗا)

يحتمـــــــل أن مرادهـــــــم بـــــــذلك:-

الإنكـــــــار، و ظنوا أنه ينفعهم و يفيدهم،

و يحتمل – و هو الأظهر- أن مرادهم بذلك:-

الإقـــــــرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون،

و أنه ليس للّه شريك في الحقيقة

و إنما هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية

و يدل على هذا قوله تعالى:-(كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال الواضح لكل أحد،

حتى إنهم بأنفسهم، يقرون ببطلانه يوم القيامة،

و يتبين لهم معنى قوله تعالى: -

(وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ)

و يدل عليه قوله تعالى:

(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)الآيات

*** قَوْلِهِ تَعَالَى:{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الْأَنْعَامِ: 23]

○و يقال لأهل النار

(ذَٰلِكُم)

العذاب، الذي نوع عليكم

(بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

***الميسر:-بما تقترفونه من المعاصي و الآثام**

(بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ)

بـــــــــــــــــ:-

1-البـــــــاطل الذي أنتم عليه،

2-و بالعلــــوم التي خالفتم بها علوم الرسل

(وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ)

على عباد الله، بغيًا و عدوانًا، و ظلمًا، و عصيانًا **[و من الأشَر و البَطَر]**

كما قال تعالى في آخر هذه السورة: -

(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ

و كما قال قوم قارون له (لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)

و هذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب

بخلاف الفرح الممدوح الذي قال الله فيه:-

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا)

و هـــــــو الفــــــــرح بــــــــــ:-

1-العلــــــــم النافع

2- و العمـــل الصالح.

(ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ)

كل بطبقة من طبقاتها، على قدر عمله

(خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ)

لا يخرجون منها أبدًا

(فَبِئۡسَ)

*الميسر:-فبئست جهنم

(مَثۡوَى)

*نزلا

يخزون فيه، و يهانون، و يحبسون، و يعذبون و يترددون بين حرها و زمهريرها.

لهؤلاء(ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ)

في الدنيا على الله.

فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ

أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧

توجيهات للنبىﷺ77-78

أي (فَٱصۡبِرۡ)

يا أيها الرسول، على دعوة قومك، و ما ينالك منهم، من أذى،

و استعن على صبرك بإيمانك

(إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ)

سينصر دينه، و يُعْلِي كلمته، و ينصر رسله في الدنيا و الآخرة،

و استعن على ذلك أيضًا، بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا و الآخرة،

و لهذا قال: (فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ)

في الدنيا فذاك

***فِي الدُّنْيَا. وَ كَذَلِكَ وَقَعَ،

فَإِنَّ اللَّهَ أَقَرَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ كُبَرَائِهِمْ وَعُظَمَائِهِمْ، أُبِيدُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ.

ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ﷺ.

(أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ)

قبل عقوبتهم

(فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ)

فنجازيهم بأعمالهم

(وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ)

***فَنُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ فِي الْآخِرَةِ.

ثم سلاه و صبَّره، بذكر إخوانه المرسلين فقال:

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ
نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ
قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ
لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا
حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٨٠ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ
فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ٨١ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣
فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤
فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ
وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم
مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨﴾

(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ)

كثيرين إلى قومهم، يدعونهم و يصبرون على أذاهم.

(مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ)

خبرهم

(وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ)

***وَ هُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ ذكر بِأَضْعَافِ أَضْعَافٍ،

(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ)

و كل الرسل مدبرون، ليس بيدهم شيء من الأمر.

و ما كان لأحد منهم (أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ)

من الآيات السمعية و العقلية

***وَ لَمْ يَكُنْ لِوَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ بِخَارِقٍ لِلْعَادَاتِ،
إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ،

(إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ)

أي: بمشيئته و أمره،

فاقتـــــراح المقترحيـــــن على الرســـــل الإتيان بالآيـــــات:-

1-ظلـــــم منهم

2–و تعنـــــــت

3–و تكـــــــذيب

بعد أن أيدهم اللّه بالآيات الدالة على صدقهم و صحة ما جاءوا به.

(فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ)

بالفصل بين الرسل و أعدائهم، و الفتح.

***وَ هُوَ عَذَابُهُ وَ نَكَالُهُ الْمُحِيطُ بِالْمُكَذِّبِينَ

(قُضِيَ)

بينهم

(بِٱلْحَقِّ)

الذي يقع الموقع،و يوافق الصواب بإنجاء الرسل و أتباعهم و إهلاك المكذبين

و لهذا قال:–(وَخَسِرَ هُنَالِكَ)

أي: وقت القضاء المذكور

(ٱلْمُبْطِلُونَ)

الذين وصفهم الباطل، و ما جاءوا به من العلم و العمل، باطل،

و غايتهم المقصودة لهم، باطلة،

فَلْيَحْذَر هؤلاء المخاطبون، أن يستمروا على باطلهم،

فيخسروا، كما خسر أولئك،

فإن هؤلاء لا خير منهم، و لا لهم براءة في الكتب بالنجاة.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ
تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

من نعم الله على عباده 79-81

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ)

***وَ هِيَ الْإِبِلُ وَ الْبَقَرُ وَ الْغَنَمُ {فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} [يس: 72]

***فَالْإِبِلُ :-

تُرْكَبُ وَ تُؤْكَلُ وَ تُحْلَبُ،

وَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا الْأَثْقَالُ فِي الْأَسْفَارِ وَ الرِّحَالِ إِلَى الْبِلَادِ النَّائِيَةِ، وَ الْأَقْطَارِ الشَّاسِعَةِ.

وَ الْبَقَرُ:-

تُؤْكَلُ، وَ يُشْرَبُ لَبَنُهَا، وَ تُحْرَثُ عَلَيْهَا الْأَرْضُ.

وَ الْغَنَمُ:-

تُؤْكَلُ، وَ يُشْرَبُ لَبَنُهَا،

وَ الْجَمِيعُ تُجَزُّ أَصْوَافُهَا وَ أَشْعَارُهَا وَ أَوْبَارُهَا

فَيُتَّخَذُ مِنْهَا الْأَثَاثُ وَ الثِّيَابُ وَ الْأَمْتِعَةُ

يمتن تعالى على عباده، بما جعل لهم من الأنعام، التي بها، جملة من الإنعام:-

1-(لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا)منافع الركوب عليها، و الحمل

2-(وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)منافع الأكل من لحومها، و الشرب من ألبانها

3–منافع الدفء،واتخاذ الآلات و الأمتعة، من أصوافها، و أوبارها و أشعارها، إلى غير ذلك من المنافع.(وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ)

4–(وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ)

من الوصول إلى الأوطان البعيدة، و حصول السرور بها، و الفرح عند أهلها.

(وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ)

أي: على الرواحل البرية، و الفلك البحرية، يحملكم الله الذي سخرها، و هيأ لها ما هيأ، من الأسباب، التي لا تتم إلا بها.

(وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ)

الدالة على وحدانيته، و أسمائه، و صفاته

و هذا من أكبر نعمه، حيث أشهد عباده، آياته النفسية، و آياته الأفقية، و نعمه الباهرة، و عدَّدَها عليهم، ليعرفوه، و يشكروه، و يذكروه.

(فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ)

أي: أي آية من آياته لا تعترفون بها؟

فإنكم، قد تقرر عندكم، أن جميع الآيات و النعم، منه تعالى

فلم يبق للإنكار محل، و لا للإعراض عنها موضع،

بل أوجبت لذوي الألباب، بذل الجهد، و استفراغ الوسع،

للاجتهاد في طاعته، و التبتل في خدمته، و الانقطاع إليه.

أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥

(أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

يحث تعالى المكذبين لرسولهم،على السير في الأرض، بأبدانهم، و قلوبهم:-

و سؤال العالمين.

تهديد الكفار و فوات توبتهم يوم العذاب 82-85

(فَيَنظُرُواْ)

نظر فكر و استدلال، لا نظر غفلة و إهمال.

(كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ)

من الأمم السالفة، كعاد، و ثمود و غيرهم

(كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ)

ممن كانوا أعظم منهم قوة و أكثر أموالا و أشد

(وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

من الأبنية الحصينة، و الغراس الأنيقة، و الزروع الكثيرة

(فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)

حين جاءهم أمر الله، فلم تغن عنهم قوتهم، و لا افتدوا بأموالهم، و لا تحصنوا بحصونهم.

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال:-(فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ)

مــــــــــــن:-

1-الكتـــــــب الإلهية،

2-و الخـــــوارق العظيمة،

3-و العلم النافع المبين للهدي من الضلال، و الحق من الباطل

(فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ)

المناقض لدين الرسل.

و مــــــن المعلــــــوم، أن فرحهـــــــــم به يدل على:-

1-شـــــــدة رضاهم به،

2-و تمسكهـــــــــم،

3-و معــــــــاداة الحق، الذي جاءت به الرسل، و جعل باطلهم حقًا،

و هذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل،

و مــــــن أحقهـــــا بالدخـــــــول في هذا:-

1-علوم الفلسفة

2–و المنطق اليوناني،

الـــــــــــــذى:–

1–رُدَّت به كثير من آيات القرآن

2–و نقصت قدره في القلوب

3–و جعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة لفظية

(لا تفيد شيئًا من اليقين،و يقدم عليها عقول أهل السفه و الباطل)

و هذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، و المعارضة لها،

و المناقضة، فالله المستعان.

(وَحَاقَ بِهِم)

أي: نزل

(مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)

من العذاب.

(فَلَمَّا رَأَوۡا۟ بَأۡسَنَا)

أي: عذابنا، أقروا حيث لا ينفعهم الإقرار

(قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ)

من الأصنام و الأوثان، و تبرأنا من كل ما خالف الرسل، من علم أو عمل.

***وَحَّدُوا اللَّهَ وَ كَفَرُوا بِالطَّاغُوتِ،
وَ لَكِنْ حَيْثُ لَا تُقَال الْعَثَرَاتُ، وَ لَا تَنْفَعُ الْمَعْذِرَةُ.

وَ هَذَا كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ:

{آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَايِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ}

[يُونُسَ: 90]

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى:{آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}

[يُونُسَ: 91]

(فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ)

أي: في تلك الحال،

و هذه (سُنَّتَ ٱللَّهِ)

و عادته

(ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ)

*مضت

(فِى عِبَادِهِۦ ۖ)

أن المكذبين حين ينزل بهم بأس الله و عقابه إذا آمنوا

كان إيمانهم غير صحيح، و لا منجيًا لهم من العذاب،

و ذلك لأنه إيمان ضرورة:-

قد اضطروا إليه، و إيمان مشاهدة،

و إنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه، هو الإيمان الاختياري:-

الذي يكون إيمانًا بالغيب، و ذلك قبل وجود قرائن العذاب.

***هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ مَنْ تَابَ عِنْدَ مُعَايَنَةِ الْعَذَابِ:-

أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ؛ وَ لِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: -
***مسند أحمد ط الرسالة
6408 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:
إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ "
أَيْ: فَإِذَا غَرْغَرَ وَ بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحَنْجَرَةَ، وَ عَايَنَ الْمَلِكَ، فَلَا تَوْبَةَ حِينَئِذٍ؛ وَ لِهَذَا قَالَ: -

(وَخَسِرَ هُنَالِكَ)

أي: وقت الإهلاك، و إذاقة البأس

(ٱلْكَٰفِرُونَ)

دينهم و دنياهم و أخراهم،

و لا يكفي مجرد الخسارة، في تلك الدار،

بل لا بد من خسران يشقي في العذاب الشديد، و الخلود فيه، دائما أبدًا.

❍تم تفسير سورة المؤمن بحمد الله و لطفه و معونته، لا بحولنا و قوتنا، فله الشكر و الثناء

41-سورة فصلت-بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾
وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ
حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ
بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ
سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

سورة فصلت –مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا
لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾
وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ
حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾
ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾

القرآن و مهمته 1-4

حمٓ ﴿١﴾

يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل و القرآن الجميل

(تَنزِيلٌ)

صادر

(مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

الذي وسعت رحمته كل شيء،

الذي من أعظم رحمتـــــــه و أجلهـــــــا:-

إنزال هذا الكتاب

الـــــــذى حصـــــــل بـــــــه مـــــــن:-

العلم و الهدى، و النور، و الشفاء، و الرحمة، و الخير الكثير،

ما هو من أجل نعمه على العباد، و هو الطريق للسعادة في الدارين.

*** كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ نزلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [النَّحْلِ: 102] ، وَ قَوْلِهِ:-{وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 192 -194]

ثم أثنى على الكتاب بتمام البيان فقال:-(كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ)

***بُينت مَعَانِيهِ وَ أُحْكِمَتْ أَحْكَامُهُ

أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته،

و هذا يستلزم البيان التام، و التفريق بين كل شيء، و تمييز الحقائق.

(قُرْءَانًا عَرَبِيًّا)

أي: باللغة الفصحى أكمل اللغات، فصلت آياته و جعل عربيًا.

***فَمَعَانِيهِ مُفَصَّلَةٌ، وَ أَلْفَاظُهُ وَاضِحَةٌ غَيْرُ مُشْكِلَةٍ، كَقَوْلِهِ:

{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هُودٍ: 1]

أَيْ: هُوَ مُعْجِزٌ مِنْ حَيْثُ لَفْظُهُ وَ مَعْنَاهُ

{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}

[فُصِّلَتْ: 42]

(لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

أي: لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه،

و يتضح لهم الهدى من الضلال، و الْغَيِّ من الرشاد.

و أما الجاهلون، الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالا و لا البيان إلا عَمًى

فهؤلاء لم يُسَقِ الكلام لأجلهم

(سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)

(بَشِيرًا)

بالثواب العاجل و الآجل،

(وَنَذِيرًا)

بالعقاب العاجل و الآجل و ذكر تفصيلهما،

و ذكر الأسباب و الأوصاف التي تحصل بها البشارة و النذارة،

و هذه الأوصاف للكتاب، مما يوجب أن يُتَلقَّى بالقبول،و الإذعان،و الإيمان،

و العمل به

(فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ)

و لكن أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين

(فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)

له سماع قبول و إجابة.

و إن كانوا قد سمعوه سماعًا، تقوم عليهم به الحجة الشرعية.

(وَقَالُوا)

موقف المشركين من القرآن و جزاء المؤمنين 5-8

أي: هؤلاء المعرضون عنه، مبينين عدم انتفاعهم به، بسد الأبواب الموصلة إليه: (قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ)

أي: أغطية مغشاة

(مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ)

أي: صمم فلا نسمع لك

(وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ)

فلا نراك.

القصد من ذلك، أنهم أظهروا الإعراض عنه، من كل وجه، و أظهروا بغضه، و الرضا بما هم عليه،

و لهذا قالوا: (فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ)

***اعْمَلْ أَنْتَ عَلَى طَرِيقَتِكَ،وَ نَحْنُ عَلَى طَرِيقَتِنَا لَا نُتَابِعُكَ.

أي: كما رضيت بالعمل بدينك، فإننا راضون كل الرضا، بالعمل في ديننا، و هذا من أعظم الخذلان، حيث رضوا بالضلال عن الهدى، و استبدلوا الكفر بالإيمان، و باعوا الآخرة بالدنيا.

(قُلۡ)

لهم يا أيها النبي:-

(إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ)

أي: هذه صفتي و وظيفتي، أني بشر مثلكم، ليس بيدي من الأمر شيء، و لا عندي ما تستعجلون به،

(يُوحَىٰٓ إِلَيَّ)

و إنما فضلني اللّه عليكم، و ميَّزني، و خصَّني، بالوحي الذي أوحاه إليَّ و أمرني باتباعه، و دعوتكم إليه

(أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ)

***لَا كَمَا تَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْأَنْدَادِ وَ الْأَرْبَابِ الْمُتَفَرِّقِينَ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ

(فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ)

أي:-اسلكوا الصراط الموصل إلى اللّه تعالى، بـــــــــ:-

1-تصـــــــــديق الخبر الذي أخبر به

2-و اتبـــــــــاع الأمر،

3-و اجتنـــــــاب النهي،

هذه حقيقة الاستقامة، ثم الدوام على ذلك،

و في قوله: (إِلَيۡهِ)

تنبيه على الإخلاص

و أن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده و غايته، التي يعمل لأجلها، الوصول إلى اللّه، و إلى دار كرامته

فبذلك يكون عمله خالصًا صالحًا نافعًا، و بفواته، يكون عمله باطلا.

❍و لما كان العبد، – و لو حرص على الاستقامة– لا بد أن يحصل منه خلل بتقصير بمأمور، أو ارتكاب منهي، أمره بدواء ذلك بالاستغفار المتضمن للتوبة فقال: (وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ)

ثم توَّعد من ترك الاستقامة فقال:–

(وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ)

***دمار و هلاك

(ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ)

***أَيْ: لَا يَدِينون بِالزَّكَاةِ.

***يَمْنَعُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ.

❍أي: الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعًا و لا ضرًا، و لا موتًا، و لا حياة، و لا نشورًا

و دنسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد ربهم و الإخلاص له،

و لم يصلوا و لا زكوا،

فلا إخلاص للخالق بالتوحيد و الصلاة، و لا نفع للخلق بالزكاة و غيرها.

***وَ الْمُرَادُ بِالزَّكَاةِ هَاهُنَا:-

طَهَارَةُ النَّفْسِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ،

وَ مِنْ أَهَمِّ ذَلِكَ طَهَارَةُ النَّفْسِ مِنَ الشِّرْكِ.

وَ زَكَاةُ الْمَالِ إِنَّمَا سُمِّيَتْ زَكَاةً لِأَنَّهَا تُطَهِّرُهُ مِنَ الْحَرَامِ،

وَ تَكُونُ سَبَبًا لِزِيَادَتِهِ وَ بَرَكَتِهِ وَ كَثْرَةِ نَفْعِهِ،
وَ تَوْفِيقًا إِلَى اسْتِعْمَالِهِ فِي الطَّاعَاتِ.

(وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ)

أي: لا يؤمنون بالبعث، و لا بالجنة و النار،

*** كَقَوْلِهِ: {مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا} [الْ كَهْفِ: 3]

وَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هُودٍ: 108] .

فلذلك لما زال الخوف من قلوبهم، أقدموا على ما أقدموا عليه، مما يضرهم في الآخرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

و لما ذكر الكافرين، ذكر المؤمنين، و وصفهم و جزاءهم،

فقال:-(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

بهذا الكتاب، و ما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان

و صدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، و المتابعة.

(لَهُمْ أَجْرٌ)

أي: عظيم

(غَيْرُ مَمْنُونٍ)

أي: غير مقطوع و لا نافد، بل هو مستمر مدى الأوقات،

متزايد على الساعات، مشتمل على جميع اللذات و المشتهيات.

۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

من ادلة وجود الله و قدرته وقصة الخلق 9-12

(۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ)

ينكر تعالى و يعجّب، من كفر الكافرين به

(بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ)

الكثيفة العظيمة دحاها

(فِي يَوْمَيْنِ)

*** يَوْمَ الْأَحَدِ وَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ.

(وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا)

*** نُظَرَاءَ وَ أَمْثَالًا تَعْبُدُونَهَا مَعَهُ

يشركونهم معه،و يبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم،

و يسوونهم بالرب العظيم، الملك الكريم،

(ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

***الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ.

وَ هَذَا الْمَكَانُ فِيهِ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

{خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الْأَعْرَافِ: 54]
فَفَصَّلَ هَاهُنَا مَا يَخْتَصُّ بِالْأَرْضِ مِمَّا اخْتَصَّ بِالسَّمَاءِ
فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ أَوَّلًا لِأَنَّهَا كَالْأَسَاسِ،
وَ الْأَصْلُ أَنْ يُبْدَأَ بِالْأَسَاسِ،ثُمَّ بَعْدَهُ بِالسَّقْفِ، كَمَا قَالَ:
{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} الْآيَةَ [الْبَقَرَةِ: 29]

بأن (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا)

ترسيها عن الزوال و التزلزل وعدم الاستقرار.

(وَبَـٰرَكَ فِيهَا)

فكمل خلقها، و دحاها، و أخرج أقواتها، و توابع ذلك

***جَعَلَهَا مُبَارَكَةً قَابِلَةً لِلْخَيْرِ وَ الْبَذْرِ وَ الْغِرَاسِ

(وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا)

وَ هُوَ: مَا يَحْتَاجُ أَهْلُهَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تُزْرَعُ وَ تُغْرَسُ،
يَعْنِي: يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَ الْأَرْبِعَاءِ، فَهُمَا مَعَ الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَرْبَعَةٌ؛

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:-(فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً)

عن ذلك، فلا ينبئك مثل خبير

فهذا الخبر الصادق الذي لا زيادة فيه و لا نقص.

(لِّلسَّآئِلِينَ)

لِمَنْ أَرَادَ السُّؤَالَ عَنْ ذَلِكَ لِيَعْلَمَهُ.

***وَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مَعْنَاهُ{وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ}
أَيْ: عَلَى وَفْقِ مُرَادِ مَنْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى رِزْقٍ أَوْ حَاجَةٍ،
فَإِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ لَهُ مَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ.
وَ هَذَا الْقَوْلُ يُشْبِهُ مَا ذَكَرُوهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ}
[إِبْرَاهِيمَ: 34]

(ثُمَّ)

بعد أن خلق الأرض

(ٱسْتَوَىٰٓ)

أي: قصد

(إِلَى)

خلق

(ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ)

قد ثار على وجه الماء

***بُخَارُ الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض

(فَقَالَ لَهَا)

و لما كان هذا التخصيص يوهم الاختصاص، عطف عليه بقوله:

(وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا)

أي: انقادا لأمري، طائعتين أو مكرهتين، فلا بد من نفوذه.

***قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلسَّمَوَاتِ:-أَطْلِعِي شَمْسِي وَ قَمَرِي وَ نُجُومِي.
وَ قَالَ لِلْأَرْضِ: شَقِّقِي أَنْهَارَكِ، وَ أَخْرِجِي ثِمَارَكِ.

فـــــ(قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ)

ليس لنا إرادة تخالف إرادتك.

***بَلْ نَسْتَجِيبُ لَكَ مُطِيعِينَ بِمَا فِينَا،مِمَّا تُرِيدُ خَلْقَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ جَمِيعًا مُطِيعِينَ لَكَ.
حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ قَالَ:-
وَ قِيلَ: تَنْزِيلًا لَهُنَّ مُعَامَلَةَ مَنْ يَعْقِلُ بِكَلَامِهِمَا.

***فَأَمَّا قَوْلُهُ: {ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ} [النَّازِعَاتِ: 27-33]

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ دَحْى الْأَرْضِ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ
فالدَّحْيُ هُوَ مُفَسَّرٌ بِقَوْلِهِ: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا}
وَ كَانَ هَذَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ،
فَأَمَّا خَلْقُ الْأَرْضِ فَقَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ بِالنَّصِّ،
وَ بِهَذَا أَجَابَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ صَحِيحِهِ، فَإِنَّهُ قَالَ:
*** صحيح البخاري
وَ قَالَ المِنْهَالُ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ
قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي القُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ،
قَالَ: {فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: 101]

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصافات: 27]

{وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: 42]،

{وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: 23]،

فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الآيَةِ؟

وَ قَالَ: {أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا} [النازعات: 27] إِلَى قَوْلِهِ: {دَحَاهَا}[النازعات: 30]

فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الأَرْضِ،

ثُمَّ قَالَ: {أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ} [فصلت: 9]

إِلَى قَوْلِهِ: {طَائِعِينَ} [فصلت: 11]

فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟

وَقَالَ: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 96]، {عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 56]،

{سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58]

فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟

فَقَالَ: {فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ} [المؤمنون: 101]:

" فِي النَّفْخَةِ الأُولَى، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ:

{فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ}

فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَ لاَ يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الآخِرَةِ

{أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصافات: 27]

وَأَمَّا قَوْلُهُ: {مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: 23]،

{وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: 42]،

فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الإِخْلاَصِ ذُنُوبَهُمْ،

وَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ،
فَخُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ،فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللَّهَ لاَ يُكْتَمُ حَدِيثًا،
وَ عِنْدَهُ: {يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} [البقرة: 105] الآيَةَ،
وَخَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ،
ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَا الأَرْضَ،
وَ دَحْوُهَا:-
أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا المَاءَ وَ المَرْعَى،
وَ خَلَقَ الجِبَالَ وَ الجِمَالَ وَ الآكَامَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ،
فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {دَحَاهَا} [النازعات: 30].

وَ قَوْلُهُ: {خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: 9].
فَجُعِلَتِ الأَرْضُ وَ مَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ،
وَ خُلِقَتِ السَّمَوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ، {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 96]
سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ، أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ،
فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ، فَلاَ يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ القُرْآنُ،
فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: حَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ عَدِيٍّ،
حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ،
عَنِ المِنْهَالِ بِهَذَا،
وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [فصلت: 8]: «مَحْسُوبٍ»
{أَقْوَاتَهَا} [فصلت: 10]: «أَرْزَاقَهَا»
{فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} [فصلت: 12]: «مِمَّا أَمَرَ بِهِ»،

{نَحِسَاتٍ} [فصلت: 16]: «مَشَائِيمَ»،

{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ} [فصلت: 25]: «قَرَنَّاهُمْ بِهِمْ»

{تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ} [فصلت: 30]: «عِنْدَ المَوْتِ»

{اهْتَزَّتْ} [الحج: 5]: «بِالنَّبَاتِ»

{وَرَبَتْ} [الحج: 5]: «ارْتَفَعَتْ»

{مِنْ أَكْمَامِهَا} [فصلت: 47]: «حِينَ تَطْلُعُ»

{لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} [فصلت: 50]: «أَيْ بِعَمَلِي أَنَا مَحْقُوقٌ بِهَذَا»

وَقَالَ غَيْرُهُ: {سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} [فصلت: 10]: «قَدَّرَهَا سَوَاءً»

{فَهَدَيْنَاهُمْ} [فصلت: 17]: " دَلَلْنَاهُمْ عَلَى الخَيْرِ وَ الشَّرِّ

كَقَوْلِهِ: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد: 10]

وَ كَقَوْلِهِ: {هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ} [الإنسان: 3]:-

وَ الهُدَى الَّذِي هُوَ الإِرْشَادُ بِمَنْزِلَةِ أَصْعَدْنَاهُ،

وَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: 90]،

{يُوزَعُونَ} [النمل: 17]: يُكَفُّونَ

{مِنْ أَكْمَامِهَا} [فصلت: 47]: قِشْرُ الكُفْرَّى هِيَ الكُمُّ "

وَ قَالَ غَيْرُهُ: " وَيُقَالُ لِلْعِنَبِ إِذَا خَرَجَ أَيْضًا كَافُورٌ وَ كُفْرَّى،

{وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: 34]: القَرِيبُ

{مِنْ مَحِيصٍ} [إبراهيم: 21]:

حَاصَ عَنْهُ أَيْ حَادَ،

{مِرْيَةٍ} [هود: 17]: وَ مُرْيَةٌ وَاحِدٌ، أَيْ امْتِرَاءٌ

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} [فصلت: 40]: «هِيَ وَعِيدٌ»

وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [المؤمنون: 96]:
«الصَّبْرُ عِنْدَ الغَضَبِ وَ العَفْوُ عِنْدَ الإِسَاءَةِ،
فَإِذَا فَعَلُوهُ عَصَمَهُمُ اللَّهُ، وَ خَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ»

{كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: 34]

فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا
بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ
صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ
وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم
بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ
مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ
وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ
لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ
١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ
ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ١٨
وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩
حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠

فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢

(فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ)

فَتَمَّ خلق السماوات و الأرض في ستـــــــة أيـــــــام:-

أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة،

مع أن قدرة اللّه و مشيئته صالحة لخلق الجميع في لحظة واحدة،

و لكن مع أنه قدير، فهو حكيم رفيق،

فمن حكمته و رفقه، أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة.

و اعلم أن ظاهر هذه الآية، مع قوله تعالى في النازعات،

لما ذكر خلق السماوات قال: (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)

يظهر منهما التعارض، مع أن كتاب اللّه، لا تعارض فيه ولا اختلاف.

و الجواب عن ذلك:-

ما قاله كثير من السلف، أن خلق الأرض و صورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا،

و دحي الأرض بأن (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا)

متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات

و لهذا قال فيها:(وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا)

إلى آخره و لم يقل: « والأرض بعد ذلك خلقها »

و قوله: (وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ)

أي: الأمر و التدبير اللائق بها، الذي اقتضته حكمة أحكم الحاكمين.

(وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ)

هـــــــى النجـــــــوم:-

1-يستنـــــــــار بها، و يهتـــــــــدى،

2-و تكون زينـــــــة و جمالا للسماء ظـــــــاهرًا، و جمالا لها

3- بـــــــــاطنًا، بجعلها رجومًا للشياطين، لئلا يسترق السمع فيها.

(وَحِفۡظٗاۚ)

المذكور، من الأرض و ما فيها، والسماء وما فيها

(ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ)

الذي عزته، قهر بها الأشياء و دبرها، و خلق بها المخلوقات.

(ٱلۡعَلِيمِ)

الذي أحاط علمه بالمخلوقات، الغائب و الشاهد.

فَتَرْكُ المشركين الإخلاص لهذا الرب العظيم الواحد القهار،

الذي انقادت المخلوقات لأمره و نفذ فيها قدره، من أعجب الأشياء،

و اتخاذهم له أندادًا يسوونهم به،

و هم ناقصون في أوصافهم و أفعالهم، أعجب، و أعجب، و لا دواء لهؤلاء،

إن استمر إعراضهم، إلا العقوبات الدنيوية و الأخروية، فلهذا خوفهم بقوله:

فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣

إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ

قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤

تهديد المشركين بمثل عاقبة عاد و ثمود 13-18

(فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ)

أى: فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، و من صفات الإله العظيم

(فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ)

أى:–عذابًا يستأصلكم و يجتاحكم

(مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ)

القبيلتين المعروفتين، حيث اجتاحهم العذاب، و حل عليهم، وبيل العقاب، و ذلك بظلمهم و كفرهم.

***وَ مَنْ شَاكَلَهُمَا مِمَّنْ فَعَلَ كَفِعْلِهِمَا.

{إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ} [الْأَحْقَافِ: 21]

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} [الْأَحْقَافِ: 21]

أَيْ: فِي الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لِبِلَادِهِمْ، بعث الله إليهم الرسل يَأْمُرُونَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

وَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ رَأَوْا مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ مِنَ النِّقَمِ،
وَ مَا أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ النِّعَمِ
وَ مَعَ هَذَا مَا آمَنُوا وَلَا صَدَّقُوا، بَلْ كَذَّبُوا وَ جَحَدُوا

(إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ)

أي: يتبع بعضهم بعضا متوالين، و دعوتهم جميعا واحدة.

(أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ)

أي:يأمرونهم بالإخلاص للّه، و ينهونهم عن الشرك، فردوا رسالتهم و كذبوهم

(قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً)

أى: و أما أنتم فبشر مثلنا

***لَوْ أَرْسَلَ اللَّهُ رُسُلًا لَكَانُوا مَلَائِكَةً مِنْ عِنْدِهِ،

(فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ)

***أَيُّهَا الْبَشَرُ

(كَٰفِرُونَ)

***لَا نَتَّبِعُكُمْ وَ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا.

و هذه الشبهة لم تزل متوارثة بين المكذبين، من الأمم و هي من أوهى الشُّبَهِ،

فإنه ليس من شرط الإرسال، أن يكون المرسل مَلَكًا،

و إنما شرط الرسالة، أن يأتي الرسول بما يدل على صدقه،

فَلْيَقْدَحُوا، إن استطاعوا بصدقهم، بقادح عقلي أو شرعي،

و لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا.

*مصنف ابن أبي شيبة
36560 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّه، قَالَ:
اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالشِّعْرِ،
فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتْ أَمْرَنَا وَعَابَ دِينَنَا فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ،
فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ
فَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ فَقَالَ:-
يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللّه؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللّهِﷺ ثُمَّ قَالَ:-
أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؟
فَسَكَتَ رَسُولُ اللّه ﷺفَقَالَ:-
إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ ،
إِنَّا وَاللّه مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْكَ،
فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتَ أَمْرَنَا وَ عِبْتَ دِينَنَا
وَ فَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللّه مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى أَنْ يَقُولَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى أَيُّهَا الرَّجُلُ،
إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ وَنُزَوِّجُكَ عَشْرًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلًا وَاحِدًا،
فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: أَفَرَغْتَ؟
قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللّهِﷺ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

(حم* تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) حَتَّى بَلَغَ

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت:13]

فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ مَا عِنْدَكَ غَيْرَ هَذَا؟

قَالَ: لَا، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟

قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ كَلَّمْتُهُ بِهِ،

فَقَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَا وَالَّذِي نَصَبَهَا بَيِّنَةً مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ،

قَالُوا: وَيْلَكَ يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَدْرِي مَا قَالَ؟

قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ "

فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ

فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾

هذا تفصيل لقصة هاتين الأمتين، عاد، وثمود

(فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ)

فكانوا – مع كفرهم باللّه، و جحدهم بآيات اللّه،

و كفرهم برسله– مستكبرين في الأرض،

قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتهم

(وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ)

قال تعالى ردًا عليهم، بما يعرفه كل أحد: –

(أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ)

فلولا خلقه إياهم، لم يوجدوا فلو نظروا إلى هذه الحال نظرًا صحيحًا

لم يغتروا بقوتهم، فعاقبهم اللّه عقوبة، تناسب قوتهم، التي اغتروا بها

(وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا)

*بأدلتنا وحججنا

(يَجْحَدُونَ)

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا)

أي: ريحًا عظيمة، من قوتها و شدتها، لها صوت مزعج، كالرعد القاصف.

فسخرها اللّه عليهم

(سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)

*** كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الْحَاقَّةِ:6]

أَيْ: بَارِدَةٍ شَدِيدَةٍ، وَ كَانَتْ ذَاتَ صَوْتٍ مُزْعِجٍ،

وَ مِنْهُ سُمِّيَ النَّهْرُ الْمَشْهُورُ بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ "صَرْصَرًا" لِقُوَّةِ صَوْتِ جَرْيِهِ.

(فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ)

***مُتَتَابِعَاتٍ

{سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} [الْحَاقَّةِ: 7]

كَقَوْلِهِ {فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ} [الْقَمَرِ: 19]

أَيِ: ابْتُدِئُوا بِهَذَا الْعَذَابِ فِي يَوْمِ نَحْسٍ عَلَيْهِمْ،

وَ اسْتَمَرَّ بِهِمْ هَذَا النَّحْسُ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ

حَتَّى أَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَ اتَّصَلَ بِهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ؛

○فدمرتهم و أهلكتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

و قال هنا: (لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا)

الذي اختزوا به و افتضحوا بين الخليقة

(وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ)

أي:لا يمنعون من عذاب اللّه، و لا ينفعون أنفسهم.

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ

بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

و أما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر و حواليه،

الذين أرسل اللّه إليهم صالحًا عليه السلام:-

يدعوهم إلى توحيد ربهم،

و ينهاهم عن الشرك

و آتاهم اللّه الناقة، آية عظيمة، لها شرب و لهم شرب يوم معلوم،

يشربون لبنها يومًا و يشربون من الماء يومًا،

و ليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض اللّه،

و لهذا قال هنا:-(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ)

أي: هدايـــــــــة بيان، و إنما نص عليهم،

و إن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة،

و حصل لهم البيان، لأن آية ثمود، آية باهرة

قد رآها صغيرهم و كبيرهم، و ذكرهم و أنثاهم،

و كانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان و الهدى

و لكنهم -من ظلمهم و شرهم-

(فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ)

-الذي هو الكفر و الضلال-

(عَلَى ٱلْهُدَىٰ)

- الذي هو: العلم و الإيمان-

(فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ)

***وَ رَجْفَةً وَ ذُلًّا وَ هَوَانًا وَ عَذَابًا وَ نَكَالًا

(بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)

لا ظلمًا من اللّه لهم.

﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾

أي نجى اللّه صالحًا عليه السلام و من اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك و المعاصي.

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾

حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ ﴾

عقوبة أعداء الله عند الحشر19-29

يخبر تعالى عن أعدائه، الذين بارزوه بالكفر به و بآياته، و تكذيب رسله و معاداتهم و محاربتهم، و حالهم الشنيعة حين يحشرون أي: يجمعون

﴿إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

أى:يرد أولهم على آخرهم، و يتبع آخرهم أولهم،

و يساقون إليها سوقا عنيفًا،

لا يستطيعون امتناعًا،

و لا ينصرون أنفسهم، و لا هم ينصرون.

***تَجْمَعُ الزَّبَانِيَةُ أَوَّلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [مَرْيَمَ: 86] أَيْ: عِطَاشًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾

أي: حتى إذا وردوا على النار:-

و أرادوا الإنكار،

أو أنكروا ما عملوه من المعاصي،

***وُقفوا عليها

(شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم)

عموم بعد خصوص.

(بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

أى: شهد عليهم كل عضو من أعضائهم

فكل عضو يقول: أنا فعلت كذا و كذا، يوم كذا و كذا

و خص هذه الأعضاء الثلاثة، لأن أكثر الذنوب، إنما تقع بها، أو بسببها.

تعريف المصابيح

هي السرج المنيرة المتلألأة المضيئة بذاتها و التي تمدنا بالضوء و الحرارة
و هي النجوم المنتشرة في أرجاء الكون العظيم
و هي مفاعلات نووية كروية الشكل بلازمية الحالة ،
هائلة الكتلة ، عظيمة الحجم ، عالية الحرارة.
و معظم عناصرها الهيدروجين و الهليوم
ترصد مجتمعة بالمجرات كحشود نجمية ثنائية أو فردية أو أكثر
متماسكة بقوة الجاذبية علي الرغم من بنائها البلازمي
و تشع كلا من الضوء المرئي و غير المرئي بجميع موجاته
و يمكن من خلال المطاييف دراسة ضوء النجم الواصل إلينا
و التعرف على العديد من صفاته الطبيعية

مثـــــــــــــــــــــل:-

١ -درجة لمعانه

٢ -شدة إضاءته

٣ - درجة حرارته

٤ -حجمه

٥ - كتلته

٦ -موقعه منا

٧ -سرعة دورانه حول محوره ،

٨ -و سرعة حركته في مداره ،

٩ -تركيبه الكيميائي ،

10-و مستوي التفاعلات النووية فيه

الي غير ذلك من صفات فيزيائية.

وقد أمكن تصنيف النجوم العادية على أساس درجة حرارة سطحها إلي نجوم حمراء 3200 (درجة مطلقة) وهي أقلها حرارة ، إلي نجوم برتقالية ، وصفراء ، وبيضاء مائلةإلي الصفرة ،

و بيضاء ،

و بيضاء مائلة إلي الزرقة ،

و زرقاء30 ،000درجة مطلقة)

وأشدها حرارة السوداء وتعد شمسنا من النجوم القزمة الصفراء متوسطة الحرارة إذ تبلغ درجة حرارة سطحها حوالي ستة آلاف درجة مطلقة.

وعن المصابيح يقول الحق تبارك وتعالى

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ يَوْمَ وَأَوْحَى كُلِّ سَماءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت.] 12 :

(هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتهتدوا ظُلُمَاتِ الْ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ

ل قَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[الأنعام] 97 ـ

(وعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)[النحل] 16 :

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا السَّ ءَام بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[الحجر] 16 :

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾[الحجر.] 17 :

مصابيح الكون

من المسلم به أن الكون مليء بالدخان والدخان به الغاز والتراب التي تشكل النجوم والتراب عبارة عن ذرات من الكربون والسيليكون

وقد صورت كسدم وسحب منتشرة في جميع أرجاء الكون والسدم هي أجنة لنجوم جديدة

وجميع علماء الفضاء يقررون أن الكون كان وما زال مليئاً بغاز حار ثم تبرد وأول ما تشكل منها هوالنجوم.

والقرآن يقرر بأن السماء أوالكون كان دخاناً ثم زيَّن الله السماء بالنجوم وسماها المصابيح

كما ذكر تبارك وتعالى.وتنتج الطاقة الهائلة في المصابيح بواسطة التفاعلات النووية وهي العملية التي يتم

فيها اندماج نوى ذرات الهيدروجين (أخف العناصر المعروفة) لتكون نوي الذرات

الأثقل بالتدريج وتنطلق الطاقة التي تزيد من درجة حرارة النجم حتي يتحول الي مايعرف باسم النجم المستعر

(Nova)والعملاق الأحمر Red Giant ،

أوالنجم العملاق الأعظم (Supergiant)

وفوق العملاق الأعظم Hypergaint

وحينما يتحول قلب النجم المستعر إلى حديد تستهلك طاقة النجم ، وتتوقف عملية الاندماج النووي فيه ، وينفجر النجم فيتحول إما إلي قزم ابيض ، أوإلي نجم نيوتروني أو الي ثقب اسود حسب كتلته الابتدائية

فينكدر النجم أويطمس ضوءه طمسا كاملا.

وعند انفجار النجوم تتناثر أشلاؤها ومنها الحديد في صفحة السماء .

﴿وأنزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ سورة الحديد﴾ - الآية) 25

أن الغالبية الساحقة من النجوم) % 90 (

تتبع النجوم العادية التي تعرف باسم نجوم النسق

الأساسي) Main Sequence Stars (،

والباقي هي نجوم في مراحل الانكدار أوالطمس

أوفي مراحل الانفجار والتلا شي ، من مثل الأقزام البيضاء ، النجوم النيوترونية (النابضة وغير النابضة) والثقوب السود في المجموعة الأولي ، والعمالقة الحمر ، والعمالقة العظام ، والنجوم المستعرة ، وفوق المستعرات في المجموعة الثانية .

وأكثر النجوم العادية لمعانا هي

أعلاها كثافة ، وبعضها يصل في كتلته إلى 350 مرة قدر كتلة الشمس ،

وتشع قدر إشعاع الشمس ملايين المرات__

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ
عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا
مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم
مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ
إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ
وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ
لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا
لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ

وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ
سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾
فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

فإذا شهدت عليهم عاتبوها،

(وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ)

هذا دليل عل أن الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا:-

(لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ)

و نحن ندافع عنكن؟

(قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ)

فليس في إمكاننا، الامتناع عن الشهادة حين أنطقنا الذي لا يستعصي عن مشيئته أحد.

(وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)

فكما خلقكم بذواتكم،و أجسامكم، خلق أيضا صفاتكم،و من ذلك:-

الإنطاق.

(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

في الآخرة، فيجزيكم بما عملتم،

و يحتمل أن المراد بذلك، الاستدلال على البعث بالخلق الأول،

كما هو طريقة القرآن.

***صحيح مسلم

(2969)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍﷺ قَالَ:-

كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺفَضَحِكَ،

فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟»

قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ،

قَالَ:مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟

قَالَ:يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ:

فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي،

قَالَ:فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا،

قَالَ:فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي

قَالَ:فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ

قَالَ:ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْكَلَامِ

قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَ سُحْقًا،

فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ ( )

(وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ)

أي: و ما كنتم تختفون

(لأركانه) أي جوارحه (أناضل) أي أدافع و أجادل

(أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ)

عن شهادة أعضائكم عليكم، و لا تحاذرون من ذلك.

(وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ)

بإقدامكم على المعاصي

(أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ)

فلذلك صدر منكم ما صدر،

و هذا الظن، صار سبب هلاكهم و شقائهم

*جاء فى الصحيح المسند من أسباب النزول:-

صحيح البخاري

4816 عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ

{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ} [فصلت:22] الآيَةَ

قَالَ:كَانَ رَجُلاَنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَخَتَنٌ لَهُمَا مِنْ ثَقِيفَ – أَوْ رَجُلاَنِ مِنْ ثَقِيفَ وَخَتَنٌ لَهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ - فِي بَيْتٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ حَدِيثَنَا؟ قَالَ: بَعْضُهُمْ يَسْمَعُ بَعْضَهُ،

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: لَئِنْ كَانَ يَسْمَعُ بَعْضَهُ لَقَدْ يَسْمَعُ كُلَّهُ

فَأُنْزِلَتْ:-{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ} [فصلت:22] الآيَةَ()

*صحيح البخاري

4817 - عَنْ عَبْد اللّه ﷺقَالَ:

اجْتَمَعَ عِنْدَ البَيْتِ قُرَشِيّان وَثَقَفِيٌّ - أَوْ ثَقَفِيّان وَقُرَشِيٌّ - كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونهمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ،

فَقَالَ أَحَدُهُمْ:-أَتُرَوْنَ أَنَّ اللّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟

قَالَ الآخَرُ:-يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا،

وَ قَالَ الآخَرُ:-إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا،

فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ:{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ} [فصلت:22]

***وَ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ:عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺفِي قَوْلِهِ:

{أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ}

قَالَ: "إِنَّكُمْ تُدعَون مُفَدَّمًا عَلَى أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَامِ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يُبِينُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ وَ كَفُّهُ

و لهذا قال: (وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ)

(ختن) كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها فهو ختن ويطلق أيضا على زوج البنت والأخت. (ثقيف) إحدى قبائل العرب وكانت تسكن الطائف]

الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله

(أَرْدَىٰكُمْ)

أي: أهلككم

(فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)

لأنفسهم و أهليهم و أديانهم

بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم،

فحقت عليكم كلمة العقاب و الشقاء،

و وجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة.

***قَالَ مَعْمَرٌ: وَ تَلَا الْحَسَنُ: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ}

ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

"قَالَ اللَّهُ أَنَا مَعَ عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّهِ بِي، وَ أَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي"( )

ثُمَّ أفترَّ الْحَسَنُ يَنْظُرُ فِي هَذَا فَقَالَ:

أَلَا إِنَّمَا عَمَلُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ ظُنُونِهِمْ بِرَبِّهِمْ،

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَأَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلَ

وَ أَمَّا الْكَافِرُ وَ الْمُنَافِقُ فَأَسَاءَا الظَّنَّ بِاللَّهِ فَأَسَاءَا الْعَمَلَ.

ثُمَّ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ}

البخارى7405

إِلَى قَوْلِهِ:-{وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

(فَإِن يَصْبِرُواْ)

فلا جَلَدَ عليها، و لا صبر، و كل حالة قُدِّر إمكان الصبر عليها،

فالنار لا يمكن الصبر عليها، و كيف الصبر على نار، قد اشتد حرها،

و زادت على نار الدنيا، بسبعين ضعفًا،

و عظم غليان حميمها، و زاد نتن صديدها،

و تضاعف برد زمهريرها و عظمت سلاسلها و أغلالها،

و كبرت مقامعها، و غلظ خُزَّانها،

و زال ما في قلوبهم من رحمتهم

و ختام ذلك سخط الجبار، و قوله لهم حين يدعونه و يستغيثون:-

(اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ)

(فَٱلنَّارُ مَثْوًى)

*مأوى

(لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ)

أي: يطلبوا أن يزال عنهم العتب، و يرجعوا إلى الدنيا، ليستأنفوا العمل.

***وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ:-

{قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون: 106 -108]

(فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ)

لأنه ذهب وقته، و عمروا، ما يعمر فيه من تذكر و جاءهم النذير

و انقطعت حجتهم، مع أن استعتابهم، كذب منهم

(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)

۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾

أي:-(وَقَيَّضْنَا)

*الميسر:-هيأنا

(لَهُمْ)

لهؤلاء الظالمين الجاحدين للحق

(قُرَنَآءَ)

من الشياطين، كما قال تعالى:-

(أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)

أي تزعجهم إلى المعاصي و تحثهم عليها، بسبب ما زينوا

(فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)

فالدنيا زخرفوها بأعينهم، و دعوهم إلى لذاتها و شهواتها المحرمة حتى افتتنوا

(وَمَا خَلْفَهُمْ)

*من أمور الآخرة،فأنسوهم ذِكرها،و دعَوهم إلى التكذيب بالمعاد

فـــــــــــــ:-

1-أقـــــــــدموا على معاصي اللّه،

2-و سلكـــــــــوا ما شاءوا من محاربة اللّه و رسله

3-و الآخـــــــــرة بَعّدُوها عليهم و أنسوهم ذكرها،

4-و ربما أوقعوا عليهم الشُّبه، بعدم وقوعها

فترحَّل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر، و البدع، و المعاصي.

و هذا التسليط و التقييض من اللّه للمكذبين الشياطين، بسبـــــــــب :-

1-إعراضهـــــــم عن ذكر اللّه و آياته،

2- و جحودهـــــم الحق

كما قال تعالى:-

(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ* وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ)[الزخرف:36-37]

(وَحَقَّ عَلَيْهِمُ)

أي: وجب عليهم، و نزل

(الْقَوْلُ)

القضاء و القدر بعذابهم

***كلمة العذاب

(فِيٓ) جملة

(أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ)

*مضت

(مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ)

لأديانهم و آخرتهم، و من خسر، فلا بد أن يذل و يشقى و يعذب.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦

فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧

ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ

نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩

يخبر تعالى عن إعراض الكفار عن القرآن، و تواصيهم بذلك، فقال:-

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ)

أي: أعرضوا عنه بأسماعكم، و إياكم أن تلتفتوا،

أو تصغوا إليه و لا إلى من جاء به،

فإن اتفق أنكم سمعتموه، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه

فـــــــ(وَالْغَوْا فِيهِ)

***بِالْمُكَاءِ وَ الصَّفِيرِ وَ التَّخْلِيطِ فِي الْمَنْطِقِ عَلَى رسول الله ﷺإذا قَرَأَ الْقُرْآنَ قُرَيْشٌ تَفْعَلُهُ.

أى: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه،

بل فيه المضرة، و لا تمكنوا – مع قدرتكم– أحدًا يملك عليكم الكلام به،

و تلاوة ألفاظه و معانيه،

هذا لسان حالهم، و لسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن

(لَعَلَّكُمْ)

إن فعلتم ذلك

(تَغْلِبُونَ)

و هذه شهادة من الأعداء، و أوضح الحق، ما شهدت به الأعداء،

فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال:–

1–الإعـــــــراض عنه

2–و التواصـــــــى بذلك،

و مفهوم كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه،و ألقوا أذهانهم:–

أنهم لا يغلبون،

فإن الحق، غالب غير مغلوب، يعرف هذا، أصحاب الحق و أعداؤه.

و لما كان هذا ظلمًا منهم وعنادًا، لم يبق فيهم مطمع للهداية،

فلم يبق إلا عذابهم و نكالهم،

***قَالَ تَعَالَى: مُنْتَصِرًا لِلْقُرْآنِ، وَ مُنْتَقِمًا مِمَّنْ عَادَاهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرَانِ

(فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا)

***فِي مُقَابَلَةِ مَا اعْتَمَدُوهُ فِي الْقُرْآنِ وَ عِنْدَ سَمَاعِهِ،

(وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ)

و هو الكفر و المعاصي،

فإنها أسوأ ما كانوا يعملون،لكونهم يعملون المعاصي و غيرها،

فالجزاء بالعقوبة، إنما هو على عمل الشرك(وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)

(ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ)

الذين حاربـــــــوه،و حاربـــــــوا أوليـــــــاءه، بـــــــ:-

1-الكفـــــــر و التكـــــــذيب،

2-و المجادلـــــــة و المجالدة.

(ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ)

أى: الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة، و لا هم ينصرون،

و ذلك (جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ)

فإنها آيات واضحة، و أدلة قاطعة مفيدة لليقين،

فأعظم الظلم و أكبر العناد، جحدها، والكفر بها.

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ)

أي: الصنفين اللذين، قادانا إلى الضلال و العذاب، من شياطين الجن، و شياطين الإنس، الدعاة إلى جهنم.

***عن علىﷺفِي قَوْلِهِ: {الَّذَيْنِ أَضَلانَا} قَالَ:-

إِبْلِيسُ وَ ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ.

(نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ)

أي: الأتباع منهم، بدليل ما بعده، على وجه الحنق، على من أضلهم:—

أي: الأذلين المهانين كما أضلونا، و فتنونا، و صاروا سببًا لنزولنا.

ففي هذا، بيان حنق بعضهم على بعض، و تبرِّي بعضهم من بعض.

***فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ،

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾
نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟
وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾
وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ
وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠
نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ
أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢

يخبر تعالى عن أوليائه، و في ضمن ذلك:-

ثواب المستقيمين فى الدارين 30-32

1-تنشيطهم

2-و الحث على الاقتداء بهم،

فقال:-(إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ)

أي: اعترفوا و نطقوا و رضوا بربوبية الله تعالى، و استسلموا لأمره

(ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ)

على الصراط المستقيم، علمًا و عملا فلهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة.

***صحيح مسلم

(38)عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ ﷺقَالَ: قُلْتُ:-
يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ -
قَالَ:-قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ "

(تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)

الكـــــــرام أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار.

(أَلَّا تَخَافُوا)

على ما يستقبل من أمركم،

(وَلَا تَحْزَنُوا)

على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي و المستقبل

(وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)

فإنها قد وجبت لكم و ثبتت، و كان وعد الله مفعولا

و يقولون لهم أيضا–مثبتين لهم و مبشرين:–

(نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ)

***قُرَنَاءَ كُمْ

(فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا)

1–يحثونهم في الدنيا على الخير، و يزينونه لهم،

2– و يرهبونهم عن الشر،و يقبحونه في قلوبهم، و يدعون الله لهم،

3–و يثبتونهم عند المصائب و المخاوف

4– وَ نَحْفَظُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ

(وَفِي الْآخِرَةِ)

كَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ:-

1-و خصوصًا عند الموت و شدته،

2-نُؤْنِسُ مِنْكُمُ الْوَحْشَةَ فِي الْقُبُورِ (و ظلمة القبر)

3–و في القيامة و أهوالها:–عِنْدَ النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ

4-وَ نُؤَمِّنُكُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ وَ النُّشُورِ

5-وَ نُجَاوِزُ بِكُمُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

6-وَ نُوصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ. و في الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم

و يدخلون عليهم من كل باب (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)

و يقولون لهم أيضا: (وَلَكُمْ فِيهَا)

أي: في الجنة

(مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ)

قد أعد وهيئ.

*الميسر:و لكم في الجنة كل ما تشتهيه أنفسكم مما تختارونه،

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)

أى:تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم و تطلبونه مـــــــــن:–

أنواع اللذات و المشتهيات، مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت،

و لا خطر على قلب بشر.

(نُزُلًا)

أى: هذا الثواب الجزيل، و النعيم المقيم، نزلٌ و ضيافة

(مِّنۡ غَفُورٖ)

غفر لكم السيئات

(رَّحِيمٖ)

حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم.

فبمغفرته أزال عنكم المحذور، و برحمته، أنالكم المطلوب.

وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا

وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣

فضل و آداب الدعوة لله 33-36

(وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا)

هذا استفهام بمعنى النفـــــــى المتقـــــــــرر أي:-

لا أحد أحسن قولا. أي: -كــــــــــلامًا و طـــــــــريقة و حالة

(مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ)

بــــــــــــــــــــــــــــــ:-

1-تعليـــــــــم الجاهلين

2-و وعظ الغافلين و المعرضين،

3-و مجادلة المبطلين،بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها،و الحث عليها،

و تحسينها مهما أمكن، و الزجر عما نهى الله عنه،

و تقبيحه بكل طريق يوجب تركه،

خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام و تحسينه،

4–و مجادلة أعدائه بالتي هي أحسن،

5–و النهي عما يضاده من الكفر و الشرك،

6–و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر.

7–تحبيبه إلى عباده بذكـــــــــر:–

تفاصيل نعمه، و سعة جوده، و كمال رحمته،

و ذكر أوصاف كماله، و نعوت جلاله.

8–الترغيب في اقتباس العلم و الهدى من كتاب الله و سنة رسوله،

و الحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه،

9– الحث على مكارم الأخلاق، و الإحسان إلى عموم الخلق،

و مقابلة المسيء بالإحسان، و الأمر بصلة الأرحام، و بر الوالدين.

10–الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، و العوارض،

و المصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده،

مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، و الترهيب من جميع الشر.

ثم قال تعالى: (وَعَمِلَ صَٰلِحًا)

أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه، إلـــــــــى:–

امتثال أمر الله، بالعمل الصالح، الذي يُرْضِي ربه

(وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)

أي: المنقادين لأمره، السالكين في طريقه،

و هذه المرتبـــــــة تمامهـــــــا للصديقيـــــــن:-

الذين عملوا على تكميل أنفسهم و تكميل غيرهم،

و حصلت لهم الوراثة التامة من الرسل

كما أن من أشر الناس، قولا من كان من دعاة الضالين السالكين لسبله.

و بين هاتين المرتبتين المتباينتين، اللتين ارتفعت إحداهما إلى أعلى عليين، و نزلت الأخرى، إلى أسفل سافلين، مراتب، لا يعلمها إلا الله، و كلها معمورة بالخلق

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ)

لا يستوي فعل الحسنات و الطاعات لأجل رضا الله تعالى،

و لا فعل السيئات و المعاصي التي تسخطه و لا ترضيه،

و لا يستوي الإحسان إلى الخلق،

و لا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، و لا في وصفها، و لا في جزائها

(هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ)

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير،

و هو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال:-

(ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ)

أي:-فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك،

كالأقارب، و الأصحاب، و نحوهــــــــــم:-

إســـاءة بالقـول أو بالفعـل فقــابلــه بـــ:-الإحســــــــان إليه

○فإن قطعـــــــــك فَصِلْــــــــهُ،

○و إن ظلمـــــــــك، فـــــــاعف عنه،

○و إن تكلـــــــم فيك، غائبًا أو حاضرًا:-

فلا تقـــــابله بــــل اعـــف عنه، و عــــــامله بالقول اللين.

○و إن هجــــرك و ترك خطابك فَـــــطيِّبْ له الكلام و ابذل له السلام

فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

***كَمَا قَالَ عُمَرُ ﷺمَا عَاقَبْتَ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ.

(فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ)

أي: كأنه قريب شفيق.

***وَ هُوَ الصَّدِيقُ أَيْ:-

إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ قَادَتْهُ تِلْكَ الْحَسَنَةُ إِلَيْهِ إِلَى مُصَافَاتِكَ

وَ مَحَبَّتِكَ، وَ الْحُنُوِّ عَلَيْكَ
حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ لَكَ حَمِيمٌ أَيْ:-
قَرِيبٌ إِلَيْكَ مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ وَ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ.

(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ)

أي:و ما يوفق لهذه الخصلة الحميدة

(إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ)

نفوسهم على ما تكره، و أجبروها على ما يحبه الله،

فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته و عدم العفو عنه

فكيف بالإحسان؟

فــــــــــإذا :-

1-صَبَّـــــــــر الإنسان نفسه

2-و امتثـــــــل أمر ربه،

3-و عـــــــرف جزيل الثواب،

4-و عـــــــلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله

(لا يفيده شيئًا، و لا يزيد العداوة إلا شدة)

5-و أن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره،بل من تواضع للّه رفعـــــــــه:-

هـــــــان عليه الأمر، و فعـــــــل ذلك، متلـــــــــذذًا مستـــــــــحليًا له.

(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)

لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا و الآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

***قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:-

أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِـــــــــ:-

الصَّبْرِ عِنْدَ الْغَضَبِ،

وَ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ،

وَ الْعَفْوِ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ

فَإِذَا فَعَلُـــــــــوا ذَلِكَ :-

عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ

وَ خَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾

لما ذكر تعالى ما يقابل به العدو من الإنس،

و هو مقابلة إساءته بالإحسان، ذكر ما يدفع به العدو الجني

و هو الاستعاذة بالله، و الاحتماء من شره فقال:-

(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ)

أي: أي وقت من الأوقات، أحسست بشيء من نزغات الشيطان

أي: مـــــــن:-

1-وســـــاوسه

2-و تـــــــزيينه للشر،

3-و تكسيله عن الخير،

4-و إصابة ببعض الذنوب،

5-و إطاعة له ببعض ما يأمر

(فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ)

أي: اسأله، مفتقرًا إليه، أن يعيذك و يعصمك منه

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ)

فإنه يسمع قولك و تضرعك،و يعلم حالك و اضطرارك إلى عصمته و حمايته.

***إِنَّ شَيْطَانَ الْإِنْسِ رُبَّمَا يَنْخَدِعُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ،
فَأَمَّا شَيْطَانُ الْجِنِّ فَإِنَّهُ لَا حِيلَةَ فِيهِ إِذَا وَسْوَسَ إِلَّا الِاسْتِعَاذَةَ بِخَالِقِهِ الَّذِي سَلَّطَهُ عَلَيْكَ،
فَإِذَا اسْتَعَذْتَ بِاللَّهِ وَ لَجَأْتَ إِلَيْهِ، كَفَّهُ عَنْكَ وَ رَدَّ كَيْدَهُ.

***سنن أبي داود
775 -عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ﵁ قَالَ:-
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ
ثُمَّ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ وَ تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَ تَعَالَى جَدُّكَ وَ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ
ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثَلَاثًا،
ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» ثَلَاثًا
«أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ،وَ نَفْخِهِ،وَ نَفْثِهِ»،
وَ قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي "سُورَةِ الْأَعْرَافِ" عِنْدَ قَوْلِهِ: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الْأَعْرَافِ: 199، 200]
وَ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ قَوْلِهِ:-{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [الْمُؤْمِنُونَ: 96 -98]
❍ثم ذكر تعالى أن :-

من آيات قدرة الله 37-39

(وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ)
الدالة على كمال قدرته، و نفوذ مشيئته، و سعة سلطانه، و رحمته بعباده، و أنه الله وحده لا شريك له

(ٱلَّيْـلُ)

هذا بمنفعه ظلمه،و سكون الخلق فيه.

(وَٱلنَّهَارُ)

هذا بمنفعة ضيائه،و تصرف العباد فيه،

(وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ)

اللذان لا تستقيم معايش العباد، و لا أبدانهم، و لا أبدان حيواناتهم، إلا بهما، و بهما من المصالح ما لا يحصى عدده.

(لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ)

فإنهما مدبران مسخران مخلوقان.

(وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ)

أي: اعبدوه وحده، لأنه الخالق العظيم، و دعوا عبادة ما سواه، من المخلوقات، و إن كبر، جرمه و كثرت مصالحه، فإن ذلك ليس منه، و إنما هو من خالقه، تبارك وتعالى.

(إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ)

فخصوه بالعبادة و إخلاص الدين له.

(فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ)

عن عبادة الله تعالى، و لم ينقادوا لها، فإنهم لن يضروا الله شيئًا و الله غني عنهم، و له عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم،

و يفعلون ما يؤمرون،

و لهذا قال: (فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ)

يعني: الملائكة المقربين

(يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩)

أي: لا يملون من عبادته، لقوتهم، و شدة الداعي القوي منهم إلى ذلك.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ
ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ
تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟
لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ
وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

(وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ)

الدالة على كمال قدرته، و انفراده بالملك و التدبير و الوحدانية

(أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً)

أي: لا نبات فيها***بَلْ هِيَ مَيْتَةٌ

(فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ)

أي:–المطر

(ٱهْتَزَّتْ)

أي: تحركت بالنبات

*الميسر:دبّت فيها الحياة، و تحركت بالنبات

(وَرَبَتْ ۚ)

ثم: أنبتت من كل زوج بهيج، فيحيي به العباد و البلاد.

*الميسر:انتفخت و علت الاعجاز العلمى

(إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا)

بعد موتها و همودها،

(لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ)

من قبورهم إلى يوم بعثهم، و نشورهم

(إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ)

فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها،لا تعجز عن إحياء الموتى.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ
أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾
لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾

تهديد الملحدين 40-44

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ)

الإلحـــــــاد في آيـــــــات الله:-

الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان:-

إما بإنكارها و جحودها، و تكذيب من جاء بها،

و إما بتحريفها و تصريفها عن معناها الحقيقي،

و إثبات معان لها، ما أرادها الله منها.

فتوعَّد تعالى من ألحد فيها بأنه لا يخفى عليه،

بل هو مطلع على ظاهره و باطنه، و سيجازيه على إلحاده بما كان يعمل،

و لهذا قال:-

(أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ)

مثل الملحد بآيات الله

(خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ)من عذاب الله مستحقًا لثوابه؟

من المعلوم أن هذا خير.

لما تبين الحق من الباطل،و الطريق المنجي من عذابه من الطريق المهلك قال:-

(ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ)

إن شئتم، فاسلكوا طريق الرشد الموصلة إلى رضا ربكم و جنته،

و إن شئتم، فاسلكوا طريق الغيِّ المسخطة لربكم، الموصلة إلى دار الشقاء.

(إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ)

يجازيكم بحسب أحوالكم و أعمالكم، كقوله تعالى:-

(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)

ثم قال تعالى:-(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ)

أى:يجحدون القرآن الكريم المذكر للعباد جميع مصالحهم الدينية و الدنيوية و الأخروية، المُعلي لقدر من اتبعه

(لَمَّا جَآءَهُمۡۖ)

نعمة من ربهم على يد أفضل الخلق و أكملهم.

(و) الحال

(وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ)

جامع لأوصاف الكمال

(عَزِيزٌ)

أي: منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء،

و لهذا قال:-(لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ)

أي:-لا يقربه شيطان من شياطين الإنس و الجن:-

لا بســــــــرقة،

و لا بإدخال ما ليس منه به

و لا بزيادة و لا نقص،

فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه و معانيه،

قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

(تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ)

في خلقه و أمره، يضع كل شيء موضعه، و ينزله منزله.

(حَمِيدٍ)

على مـــــــا لـــــــه مـــــــن:-

1-صفات الكمال،

2–و نعوت الجلال،

3–و على ما له من العدل و الإفضال،

فلهذا كان كتابه،مشتملا على تمام الحكمة،

و على تحصيل المصالح و المنافع،و دفع المفاسد و المضار التي يحمد عليها.

مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ

إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

أى: (مَّا يُقَالُ لَكَ)

أيها الرسول من الأقوال الصادرة، ممن كذبك و عاندك

(إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ)

أي: من جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد،

كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسل، من دعوتهم إلى الإخلاص للّه و عبادته وحده لا شريك له

و ردهم هذا بكل طريق يقدرون عليه، و قولهم:–

(مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا)

و اقتراحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها،

و نحو ذلك من أقوال أهل التكذيب،

لمَّا تشابهت قلوبهم في الكفر، تشابهت أقوالهم،

و صبر الرسل عليهم السلام على أذاهم و تكذيبهم،

فاصبر كما صبر من قبلك

ثم دعاهم إلى التوبة و الإتيان بأسباب المغفرة،

و حذرهم من الاستمرار على الغيّ فقال:-(إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ)

أي: عظيمة، يمحو بها كل ذنب لمن أقلع و تاب

(وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ)

لمن: أصر و استكبر.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

(وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟)

***لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الْقُرْآنَ وَ فَصَاحَتَهُ وَ بَلَاغَتَهُ، وَ إِحْكَامَهُ فِي لَفْظِهِ وَ مَعْنَاهُ، وَ مَعَ هَذَا لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، نَبَّهَ عَلَى أَنَّ كُفْرَهُمْ بِهِ كُفْرُ عِنَادٍ وَ تَعَنُّتٍ،

كَمَا قَالَ:{وَلَوْ نزلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 198، 199] .

يخبر تعالى عن فضله و كرمه، حيث أنزل كتابا عربيًا، على الرسول العربي، بلسان قومه، ليبين لهم،

و هـــــــذا ممـــــــا يوجـــــــب لهـــــــم:-

1-زيادة الاغتناء به،

2-و التلقي له و التسليم،

❍و أنه لو جعله قرآنا أعجميًا بلغة غير العرب لاعترض المكذبون و قالوا:-

(لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ)

أي: هلا بينت آياته، و وضحت و فسرت

(ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ)

أى:-كيف يكون محمد عربيًا، و الكتاب أعجمي؟

هذا لا يكون فنفى الله تعالى كل أمر، يكون فيه شبهة لأهل الباطل، عن كتابه، و وصفه بكل وصف، يوجب لهم الانقياد،

و لكن المؤمنون الموفقون،انتفعوا به، و ارتفعوا،و غيرهم بالعكس من أحوالهم.

و لهذا قال: (قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ)

***لقلبه

❍أى:-يهديهم لطريق الرشد و الصراط المستقيم،

و يعلمهم من العلوم النافعة،ما به تحصل الهداية التامة

(وَشِفَآءٞ)

***لما في الصدور مـــن:-

1-الشكوك و الريب

2–و شفاء لهم من الأسقام البدنية

3–و الأسقام القلبية

لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق و أقبح الأعمال

و يحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب و تشفي القلب.

(وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ)

بالقرآن

(فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ)

أى:–صمم عن استماعه و إعراض،

(وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ)

أي: لا يبصرون به رشدًا، و لا يهتدون به، و لا يزيدهم إلا ضلالا

فإنهم إذا ردوا الحق، ازدادوا عمى إلى عماهم، و غيًّا إلى غيِّهم.

***لَا يَهْتَدُونَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

{وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا} [الْإِسْرَاءِ: 82] .

(أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ)

***مِنْ قُلُوبِهِمْ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: مَعْنَاهُ: -

كَأَنَّ مَنْ يُخَاطِبُهُمْ يُنَادِيهِمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُ قُلْتُ:-

وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الْبَقَرَة: 171]

أي: ينادون إلى الإيمان، و يدعون إليه،

فلا يستجيبون، بمنزلة الذي ينادي، و هو في مكان بعيد،

لا يسمع داعيًا و لا يجيب مناديًا.

و المقصود: أن الذين لا يؤمنون بالقرآن،لا ينتفعون بهداه، و لا يبصرون بنوره،

و لا يستفيدون منه خيرًا، لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى،

بإعراضهم و كفرهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

اختلاف الناس فى التوراة 45-46

يقول تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ) كما آتيناك الكتاب، فصنع به الناس ما صنعوا معك

(فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ)

اختلفـــــــوا فيـــــــه:-

1-فمنهم من آمن به و اهتدى و انتفع،

2-و منهم من كذبه و لم ينتفع به،

*** كُذِّبَ وَ أُوذِيَ

{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الْأَحْقَافِ: 35] .

{وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الشورى: 14]

بتأخير الْحِسَابِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ،

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ)

و إن اللّه تعالى، لولا حلمه و كلمته السابقة، بتأخير العذاب إلى أجل مسمى لا يتقدم عليه و لا يتأخر

(لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ)

بمجرد ما يتميز المؤمنون من الكافرين،بإهلاك الكافرين في الحال، لأن سبب الهلاك قد وجب و حقَّ.

***لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا

(وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ)

أي: قد بلغ بهم إلى الريب الذي يقلقهم، فلذلك كذبوه و جحدوه.

***وَ مَا كَانَ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ عَنْ بَصِيرَةٍ مِنْهُمْ لِمَا قَالُوا، بَلْ كَانُوا شَاكِّينَ فِيمَا قَالُوا غَيْرَ مُحَقِّقِينَ لِشَيْءٍ كَانُوا فِيهِ.

(مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا)

و هو العمل الذي أمر اللّه به، و رسوله

(فَلِنَفْسِهِۦ ۖ)

نفعه و ثوابه في الدنيا و الآخرة

(وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ)

ضرره و عقابه، في الدنيا و الآخرة،

و فـــــى هذا حـــــــثٌّ:-

1-علـــى فعــل الخيـــر

2-و تـــــــرك الشــــــــر

3-و انتفاع العاملين، بأعمالهم الحسنة، و ضررهم بأعمالهم السيئة،

و أنه لا تزر وازرة وزر أخرى.

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ)

فَيُحمِّل أحدًا فوق سيئاتهم.

***لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبٍ،

وَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَ إِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ.

الدلالة العلمية لقول الحق

(وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) (الحج:5) الرابط

ترد لفظة الأرض في القرآن الكريم بثلاثة معان محددة تفهم من سياق الآية القرآنية وهي إما الكوكب ككل، أو الغلاف الصخري المكون لكتل

القارات التي نحيا عليها، أو قطاع التربة الذي يغطي صخور ذلك الغلاف الصخري للأرض.
و واضح الأمر هنا أن المقصود بالأرض في النص القرآني الذي نتعامل معه هو قطاع التربة الذي يحمل الكساء الخضري للأرض
و الذي يهتز ويربو بسقوط الماء عليه.

قطاع التربة الأرضية:

تتكون تربة الأرض بواسطة التحلل الكيميائي والحيوي لصخورها
كما تتكون نتيجة تفكك تلك الصخور بواسطة عوامل التعرية المختلفة التي تؤدي في النهاية إلي تكون غطاء رقيق لصخور الغلاف الصخري للأرض من فتات وبسيس الصخور علي هيئة حطام مفروط يعرف باسم عادم الصخور.
وعلي ذلك فإن تربة الأرض تمثل الطبقة الرقيقة من عادم الصخور الناتج عن تحلل أجزاء من الغلاف الصخري للأرض، والذي يغطي صخور ذلك الغلاف في كثير من الأحوال، سواء كان ناتجا عن تحللها مباشرة، أو منقولا إليها ليغطيها.
و التربة بذلك تمثل الحلقة الوسطي بين الغلاف الصخري للأرض
و كلا من غلافيها الهوائي و المائي،
و لذلك فهي خليط من المعادن التي تفككت من صخور الأرض بفعل عوامل التعرية المختلفة،
و من المركبات العضوية وغير العضوية الناتجة عن التفاعل والصراع بين تلك النطق الثلاث من نطق الأرض، أو المتبقية عن الكائنات الحية التي تعمر قطاع التربة، وهي كثيرة من مثل البكتيريا، والطحالب، والفطريات، والنباتات بمختلف هيئاتها ومراتبها،

فالتربة هي مصدر كل الغذاء والماء لحياة النباتات الأرضية لأنها وسط تتراكم فيه بقايا كل من العمليات الأرضية، والسلاسل الغذائية، والتي تتحلل بواسطة الكائنات الدقيقة التي تزخر بها التربة والتي تجهز بنشاطاتها كل العناصر اللازمة لنمو النباتات الأرضية.

وتتكون التربة الأرضية أساسا من معادن الصلصال، والرمال، وأكاسيد الحديد، وكربونات كل من الكالسيوم والمغنسيوم.

وبالاضافة إلي التركيب الكيميائي والمعدني لتربة الأرض فإن حجم حبيباتها ونسيجها الداخلي له دور مهم في تصنيفها إلي أنواع عديدة،

وتقسم التربة حسب حجم حبيباتها إلي التربة الصلصالية، والطميية، والرملية، والحصوية، وأكثر أنواع التربة انتشارا هي خليط من تلك الأحجام.

و يقسم قطاع التربة من سطح الأرض إلي الداخل إلي النطق الأربع التالية:

(1) نطاق السطح الأرضي أو(نطاق(O وهو غني بالمواد العضوية من مثل أوراق الأشجار وفتات زهورها، وثمارها، وأخشابها، وتزداد فيها نسبة المواد الدبالية(Humus) أي العضوية المتحللة من أعلي إلي أسفل.

(2) نطاق التربة العليا(أو نطاق(-A وتتكون أساسا من فتات المعادن الخشن نسبيا، ولكنها تزخر بالنشاط العضوي مما يزيد من محتواها في المواد الدبالية والتي تصل إلي30% من مكوناتها في بعض الحالات.

(3) نطاق ما تحت التربة العليا(أو نطاق ـ(B

وهو نطاق يتجمع فيه كثير من العناصر والمركبات التي تحملها المياه الهابطة من السطح إلي أسفل من النطاقين العلويين،

و لذا يعرف باسم نطاق التجمع ومع كثرة هبوط حبيبات الصلصال الدقيقة من النطاقين العلويين إلي نطاق ما تحت التربة أو نطاق التجمع هذا، فإنه يحتفظ بالماء الهابط إليه من سطح الأرض.

وتمثل النطق الثلاثة(O+A+B) ما يسمي التربة الحقيقية وهي التي تزخر بالعمليات الحيوية، وبكل صور الحياة التي تشتهر بها تربة الأرض وتمتد إليها جذور النباتات من فوق سطحها.

(4) نطاق الغلاف الصخري للأرض متأثرا ببعض عمليات التجوية، وهذه النطق لا تتمايز بهذا الوضوح إلا بعد تمام نضج قطاع التربة، فكثيرا ما تتكدس في نطاق واحد.

وتمثل مجموعة النباتات الدقيقة من مثل البكتيريا، والفطريات، والطحالب أهم أنواع الحياة في تربة الأرض،

وتشكل البكتيريا أغلبها(نحو90%).

وتنقسم بكتيريا التربة إلي ذاتية التغذية، وغير ذاتية التغذية،

ومن الصنف الأول بكتيريا العقد الجذرية وقد أعطاها الله(تعالي) القدرة علي تثبيت غاز النيتروجين وتحويله إلي مركبات نيتروجينية مهمة في التربة ولذا تعرف باسم بكتيريا النيتروجين، وهناك بكتيريا الإيدروجين، وبكتيريا الكبريت، وبكتيريا الحديد وغيرها وهي تلعب دورا مهما في تزويد التربة بالأغذية المناسبة للنباتات الأرضية، واستكمالا لهذا الدور المهم،

فإن البكتيريا غير ذاتية التغذية تقوم بتكسير المواد العضوية المعقدة من مثل المواد السيليولوزية والكربوهيدراتية، والبروتينية والدهنية وتحويلها إلي مواد يستطيع النبات الاستفادة بها.

كيف تربو هذه التربة الأرضية بإنزال الماء عليها؟

يتكون جزئ الماء من اتحاد ذرة أكسجين واحدة مع ذرتي أيدروجين برابطة قوية لا يسهل فكها،

وترتبط هذه الذرات مع بعضها البعض بشكل زاو، له قطبية كهربية واضحة لأن كلا من ذرتي الإيدروجين يحمل شحنة موجبة نسبية، وذرة الأكسجين تحمل شحنة سالبة نسبية، مما يجعل جزئ الماء غير تام التعادل

كهربيا، وإلي هذه القطبية الكهربية تعود صفات الماء المميزة له من مثل قدرته الفائقة علي الإذابة، وعلي التوتر السطحي، وشدة تلاصق جزئياته مما يجعل له القدرة علي التسلق(الخاصية الشعرية)،
وعلي التكور في هيئة قطرات،
وعدم امتزاج محاليله امتزاجا كاملا.
و الماء بهذه الصفات الطبيعية المميزة إذا نزل علي تربة الأرض أدي إلي إثارتها كهربيا مما يجعلها تهتز وتتنفس ويزداد حجمها فتربو وتزداد و ذلك لأن تربة الأرض تتكون في غالبيتها من المعادن الصلصالية التي يؤدي تميؤها الي اهتزاز مكونات التربة، وزيادة حجمها، وارتفاعها الي أعلي حتي ترق رقة شديدة فتنشق مفسحة طريقا سهلا آمنا لسويقة(ريشة) النبتة الطرية الندية المنبثقة من داخل البذرة النابتة المدفونة بالتربة.

ومن أسباب اهتزاز التربة وانتفاشها و ربوها ما يلي:

(1) تتكون التربة أساسا من المعادن الصلصالية،
ومن صفات تلك المعادن انها تتشبع بالتميؤ أي بامتصاص الماء مما يؤدي الي زيادة حجمها زيادة ملحوظة فيؤدي ذلك الي اهتزازها بشدة وانتفاضها فتؤدي إلي اهتزاز التربة بمجرد نزول الماء عليها.
(2) تتكون المعادن الصلصالية من رقائق من أكاسيد السيليكون والألومنيوم تفصلها مسافات بينية مملوءة بجزيئات الماء والغازات، وعند التسخين تطرد هذه الجزيئات، فتنكمش تلك الرقائق بطرد هذه الجزيئات البينية
وعند إضافة الماء اليها تنتفض، وتهتز وتربو نتيجة لملء المسافات البينية الفاصلة لرقائق المعدن بالمياه.
(3) نظرا لدقة حجم الحبيبات الصلصالية

(والتي لايتعدي قطرها واحد علي256 من المليمتر أي اقل من0.004 ـ من المليمتر)
وهي المكون الرئيسي لتربة الأرض،
فان اختلاط الماء بتلك التربة يحولها الي الحالة الفردية
وهي حالة تتدافع فيها جسيمات المادة بقوة، وبأقدار غير متساوية في كل الاتجاهات، وعلي كل المستويات في حركة دائبة تعرف باسم الحركة البراونية نسبة الي مكتشفها،
وهي من عوامل اهتزاز التربة بشدة وانتفاضها،
و كلما كان الماء المختلط بالتربة وفيرا باعد لمسافات اكبر بين حبيبات التربة،و زاد من سرعة حركتها.
(4) تتكون المعادن الصلصالية أساسا من سيليكات الألومنيوم المميأة، وهذا المركب الكيميائي له قدرة علي احلال بعض ذرات الألومنيوم بذرات قواعد أخري مثل المغنيسيوم والكالسيوم،
وكنتيجة لإحلال ذرات الألومنيوم بذرات غيرها من العناصر ترتبط بعض الأيونات الموجبة الشحنة مثل الصوديوم والكالسيوم علي حواف
وأسطح راقات الصلصال لمعادلة الشحنات السالبة الناتجة عن احلال ذرة الألومنيوم الثلاثية التكافؤ بذرة الكالسيوم أو المغنيسيوم الثنائية التكافؤ.
والأيونات الموجبة مثل ايونات الصوديوم والكالسيوم سهلة الاحلال بقواعد اخري مما يحدث اهتزازا عنيفا في مكونات رقائق الصلصال في وجود جزئ الماء القطبي الكهربية.
(5)ان العمليات المعقدة التي كونت تربة الأرض عبر ملايين السنين أثرتها بالعديد من العناصر والمركبات الكيميائية اللازمة لحياة النباتات الأرضية، كما ان الكائنات الحية الدقيقة والكبيرة التي أسكنها الله(تعالي) تربة الأرض لعبت ولاتزال تلعب دورا هاما في إثرائها بالمركبات العضوية وغير

العضوية، وعند نزول جزيئات الماء ذات القطبية الكهربية، واذابتها لمكونات التربة فان ذلك يؤدي الي تأين تلك المكونات،
والي تنافر الشحنات المتشابهة علي أسطح رقائق الصلصال وفي محاليل المياه مما يؤدي الي انتفاض تلك الرقائق واهتزازها بشدة.
(6) تحمل الرياح، والطيور، والحشرات، والكائنات الدقيقة الي التربة بذور العديد من النباتات خاصة مما يسمي بالبذور المجنحة والأبواغ والجراثيم وحبوب اللقاح التي تحملها الرياح لمسافات بعيدة
و عندما ينزل الماء علي التربة الأرضية وتستقي منه تلك البقايا النباتية القابلة للإنبات مثل البذور فتنشط اجنتها، وتتغذي علي المواد المذابة في مياه التربة فانها تنمو، وتندفع جذورها الي أسفل مكونة المجموعات الجذرية لتلك النابتات، وتندفع سويقاتها(ريشتها) الي أعلي مسببة اهتزازات عنيفة لمكونات التربة.
(7) مع ازدياد هطول الماء علي التربة تنتعش كل صور الحياة فيها من البكتريا، والفطريات، والطحالب، وغيرها، كما تغلظ المجموعات الجذرية للنباتات القائمة علي سطح الأرض،
ويؤدي النشاط الحيوي لكل من هذه الكائنات الي زيادة حجم التربة، والي زيادة الأنشطة الكيميائية والفيزيائية فيها مما يؤدي الي انتفاض مكوناتها واهتزازها، وربوها، وكثرة الإنبات فيها،
وقد صورت هذه المراحل بالتصوير البطئ واثبتت الصور صدق القرآن الكريم، في كل ماأشار اليه في هذه القضية.
وهذه حقائق لم يدركها الإنسان إلا في العقود القليلة الماضية،
وورودها في كتاب الله المنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة بهذه الدقة العلمية، والتسلسل التطبيقي، المنطقي:.....

وتري الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج
(الحج:5)
وتكرار المعني في مقام آخر من كتاب الله حيث يقول(عز من قائل):
ومن آياته أنك تري الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى انه علي كل شئ قدير (فصلت:39)
ان هذا كله لمن أبلغ الدلائل علي أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وان هذا النبي الخاتم الذي تلقاه كان موصولا بوحي السماء،
ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض.
فالحمد لله الذي انزل القرآن بعلمه، علي خاتم أنبيائه ورسله، وتعهد بحفظه فحفظه علي مدي أربعة عشر قرنا أو يزيد، وانزل فيه قوله الحق مخاطبا نبيه الخاتم ورسوله الخاتم فيقول(عز من قائل):
لكن الله يشهد بما أنزل إليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفي بالله شهيدا (النساء:166)
وصلي الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد، سيد الأولين والآخرين، وإمام النبيين والمرسلين، وهادي الخلق أجمعين إلي الدين القويم، من لدن بعثته الشريفة والي يوم الدين وعلي آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته في الأولين والآخرين.